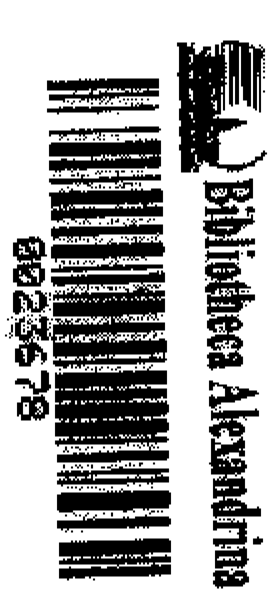
هذه بلادنا (٣٦)



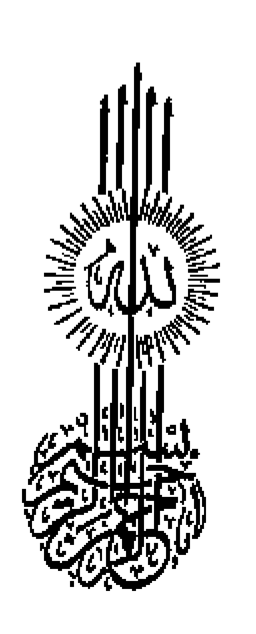
صبيا

تأليف

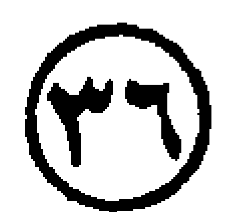
محمد محسن محمد منشاري



الرئاسة العامة لرعاية الشباب



هذه بلادنا



صبيـــــا

تأليـــف

محمد محسن محمد مشاري

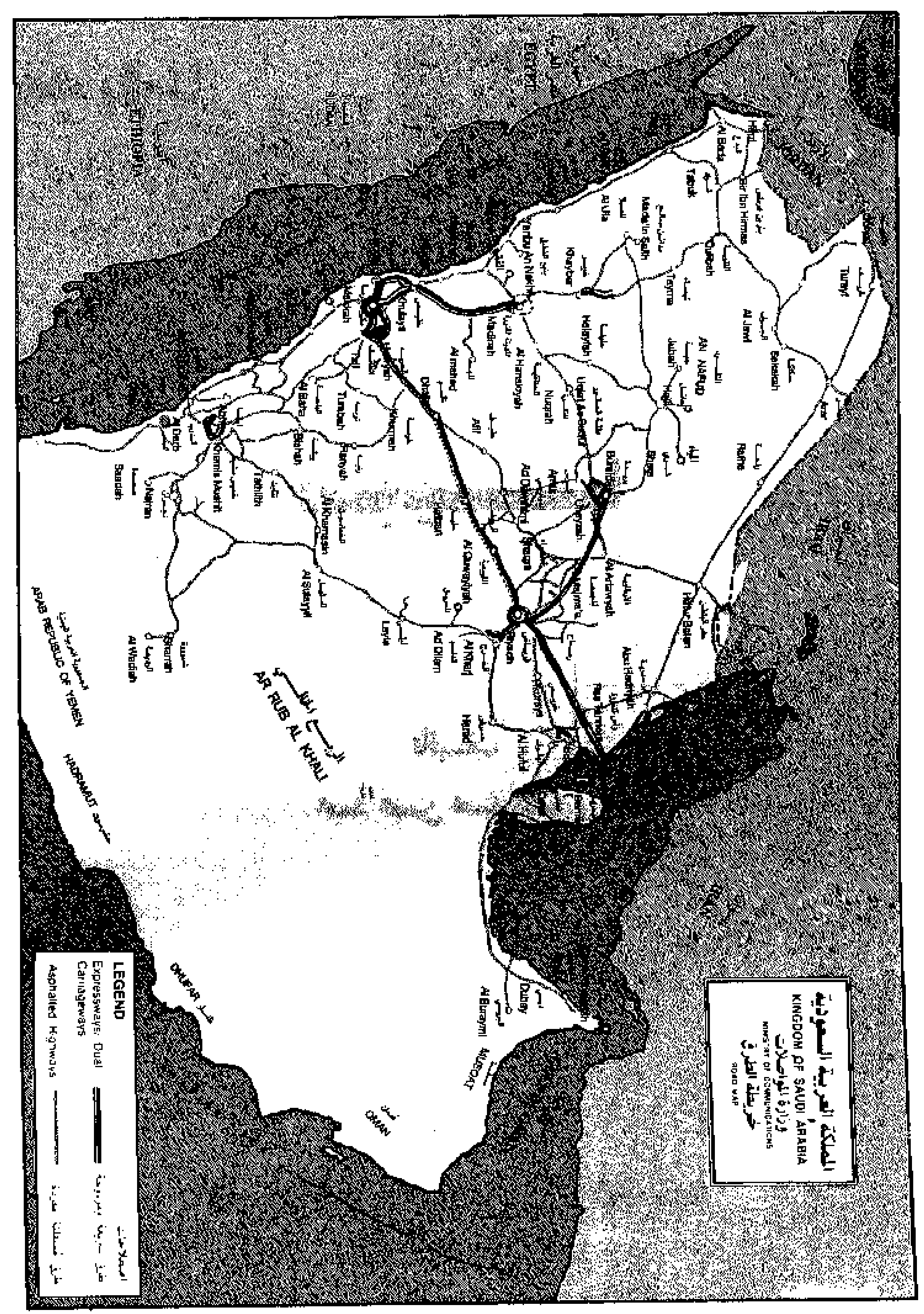
الطبعة الأولى

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

وكالة شؤون الشباب

الإدارة العامة للنشاطات الثقافية

الرياض ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



صبيا

مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٣هـ

تقديم:

يسعدني أن أقدم لسلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة وتعمل على تسجيل التراث الفكري والفني والعادات والتقاليد في المملكة . . هذا بالإضافة إلى كونها تجميعًا لنشاط المحاضرات الذي تقوم بتنفيذه الإدارة العامة للنشاطات الثقافية .

ولعلنا بهذا العمل نسهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراسًا هاديًا لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويجعلهم يفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم .

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعده على تلمس الطريق وتوفر له الوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد . . وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم . وكثيرًا ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وآثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع .

وإنه من الأفضل لأية أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذين أتيحت لهم فرصة التعليم والوصول إلى أرقى الدرجات العلمية وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب والبحث والتنقيب في المعاجم

والاستفسار والتمحيص بالاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء.

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والازدهار.. وللإدارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق والنجاح.

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

● ● ●

هـذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت امتدادًا طبيعيًا لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات.. فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم جميع المواطنين، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها.. فإن كان صغيرًا يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه، وإن كان كبيرًا فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعًا لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله.

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته وإجازته.

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وإبراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في أرجاء الوطن.

واللّـــه الموفـــق والهادي إلى ســـواء السبيـــل.

الإدارة العامة للنشاطات الثقافية

الفصل الأول

الموقع الجغرافي

* الموقع الجغرافي
* المناخ
* أحياء مدينة صبيا
* سوق صبيا
* صبيا والزراعة
* أودية صبيا

تقع مدينة صبيا في السهل الممتد بين جبال السروات شرقًا والشواطىء الشرقية للبحر الأحمر غربًا، وهي إحدى مدن (منطقة جازان) الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية. ومدينة صبيا تقع في الشمال الشرقي من (مدينة جازان) قاعدة المنطقة، وتبعد عنها بنحو أربعين كيلومترًا: وتقع مدينة صبيا في الشمال الغربي من مدينة (أبو عريش) وتبعد عنها بنحو ثلاثين كيلومترًا. أما موقع مدينة صبيا من مدينة (بيش) فإنها تقع في الجنوب الشرقي، وتبعد عنها بنحو ثلاثين كيلومترًا.

ومدينة صبيا: تقع في الجنوب الغربي من مدينة (أبها) بمنطقة عسير، وتبعد عنها بمسافة تقدر بمائة وستين كيلومترًا. والمسافة بين صبيا والبحر الأحمر تقدر بستة وعشرين كيلومترًا.

هذا هو موقع مدينة صبيا التي تعرف بمدينة (صبيا القديمة)، وهي المدينة التي أسسها (دُريب بن مهارش الخواجي) عام ٩٥٨هـ[١]. وإلى الشرق من مدينة (صبيا القديمة) بمسافة ثلاثة كيلومترات تقع مدينة (صبيا الجديدة) التي اختطها السيد محمد علي الإدريسي عام ١٣٣٨هـ[٢]، إبّان توليه الحكم في صبيا.

(١) الطبعة الثانية من كتاب المخلاف السليماني للعقيلي ج١ ص ٣٠٠

(٢) لايزال بعض كبار السن من أهل صبيا ممن عاصروا الإدريسي وشهدوا تأسيس مدينة صبيا الجديدة وانتقلوا مع الإدريسي إليها على قيد الحياة.

وقد بدأت المسافة بين المدينتين تتلاشى نتيجة للامتداد العمراني في عهدنا الحاضر. ويفصل بين قسمي صبيا القديمة والجديدة الخط العام المتجه إلى الحجاز- اليمن، ومن هذا الخط ترتبط مدينة (صبيا القديمة) بخط فرعي يتجه غربًا، كما ترتبط مدينة (صبيا الجديدة) وقرية (صَلْهَبَة) المجاورة لها بخط فرعي يتجه شرقًا، وقد ساعد هذا الخط العام الذي يفصل بين قسمي المدينة على نمو حركة صبيا التجارية؛ وإذا ما اتجه المرء ببصره إلى الجهة الشرقية والجهة الشمالية الشرقية من صبيا فإنه سوف يشاهد جبلين شامخين هما (عَكْوَة الجنوبية) وجبل (عَكْوَة الشمالية)، وهما الجبلان اللذان عناهما الشاعر[1] بقوله:

إذا رأيت جبلي عَكَادِ والعَكْوَتَيْن من مكان باد فأبشري يا عين بالرقاد

وجبل (عَكْوَة الجنوبي) يطل على قرية (جُخَيْرَة) من الجهة الشمالية الشرقية و(جُخَيْرَة) من القرى التابعة لصبيا. أما موقع جبل (عَكْوَة الجنوبي) بالنسبة لمدينة صبيا فهو في الجهة الشرقية منها، ويبعد عنها بنحو سبعة عشر كيلومترًا، وجبل (عَكْوَة الشمالي) يقع في الجهة الشمالية الشرقية من صبيا، ويبعد عنها بنحو عشرين كيلومترًا، ويطل على قرية (الحُسَيْنِيَة) التابعة لصبيا من الجهة الغربية.

و(جبلا عكاد) يقعان في الجهة الجنوبية من مدينة الدَّرب (درب بني شعبة)، وتقع مدينة (الدَّرب) في الجهة الشمالية الغربية من مدينة صبيا. وتبعد عنها بنحو ثمانين كيلومترًا، ويقال للجبل الأول (عكاد الشمالي) ويبعد عن الدرب جنوبًا بنحو خمسة كيلومترات، كما يقال للجبل الثاني (عكاد الجنوبي) لوقوعه في الجنوب من الجبل الأول، ويبعد عنه بنحو ثلاثة كيلومترات.

---

(١) يقول المطّلعون من أدباء المنطقة: إن قائل هذا الشعر هو (عمارة اليمني)، قاله في غربته حينما كان في مصر أيام حكم (الفائز بن الظافر الفاطمي) عام ٥٥٠هـ، وقد عاش في مصر حتى توفي شنقًا في عام ٥٦٩هـ، و(عمارة) هو من قرية (الزرائب)، إحدى قرى وادي (وساع) من أودية مخلاف صبيا الشمالي. وقد اندثرت هذه القرية. وقد علمت أنها تقع جنوب قرية (الحُسَيْنِيَة) مباشرة.

المنـــاخ

مناخ صبيا حارّ رطب صيفًا، وممطر شتاءً. وهو لطيف جدًّا في فصل الشتاء. ومهما اشتد البرد فإن درجة الحرارة الصغرى في صبيا لا تنخفض عن ثماني عشرة درجة مئوية مصحوبًا بالرطوبة ليلاً لقرب صبيا من البحر. وتتعرض صبيا لرياح شديدة تهب عليها من الجهة الشمالية الغربية وتحمل فيها الكثير من الأتربة وتسمى هذه الرياح (الغبرة)، وغالبًا ما تهب هذه الرياح في شهر (يونيه) من كل عام، وقد تستمر إلى أواخر شهر (أغسطس)، ولكن على فترات متقطعة من كل شهر، فإذا ما نزل المطر بمشيئة الله ـ تعالى ـ خف تأثيرها، لأن الأرض تتلبد بالمطر فلا تجد الرياح ترابًا تحمله. وفي بعض الأيام تهب هذه الرياح بما تحمل من أتربة من الساعة السابعة صباحًا، وتستمر إلى قرب صلاة العشاء حتى إن الرؤية الأفقية تتدنى إلى أقل من عشرين مترًا لكثرة ما تحمل من أتربة، حتى إن أكثر الأسر في صبيا إذا تناولت وجبة طعام الصباح فإنها لا تستطيع أن تتناول وجبة أخرى إلا في الليل بعد هدوء رياح (الغُبْرَة)، وذلك تحاشيًا للحريق الذي قد يحدث ـ لا سمح الله ـ إذا أوقدوا النار للطبخ في الظهيرة أثناء هبوب الرياح وإثارتها للغبار.

ورياح (الغُبْرَة) تهب على صبيا من بعض الدول الإفريقية المواجهة للمنطقة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وطوال الفترة التي تهب فيها هذه (الغُبْرَة) على صبيا يظل الجو مُكْفَهِرًّا فيها لا يترك مجالاً لراحة الإنسان أو هدوئه. فإذا انتهى موسم (الغُبْرَة) بدأ الجو في التحسن.

وكان أهل صبيا يعانون من هذه (الغُبْرَة)، وما تسببه لهم من متاعب وكوارث لاسيما عندما كانت مساكنهم من الخشب والقش، وعدم وجود وسائل الإطفاء الحديثة، إضافة إلى عدم توافر المياه في البيوت حيث كان لا يوجد في البيت أكثر من أربع جرار أو خمس [1].

---

(١) الجَرَّة وعاء فخاري لحفظ الماء، وتقدر سعتها بحوالي (١٥ ـ ١٨ لترًا)، جمعها جِرَار. وهي تقوم بوظيفة خزانات الماء والبرّادات في عصرنا الحاضر، ومن الأوعية الفخارية ما يتسع لقرابة السبعين لترًا من الماء ويطلق عليها في صبيا (زير) أو (بلبلة).

وهذه الجرار هي كل الأوعية التي كان المواطن في صبيا يختزن فيها الماء، لذلك فإن كمية الماء المخزونة لا تكفي لإطفاء أي حريق يشب ـ لا سمح الله ـ في أي بيت من البيوت المبنية من القِش. ومعلوم أن سرعة اشتعال النار في القش خاصة وقت هبوب الرياح تعجز عن إطفائه عدد من سيارات الإطفاء مع الوايتات المرافقة لها المحملة بالماء، فكيف بأربع أو خمس جرار من الماء يحملها بضع أفراد على أكتافهم لإطفاء النار المشتعلة بما فيها من ماء قليل؟ مع العلم أن قلة الماء في البيوت لا يرجع سببه إلى قلة المياه الجوفية في الأرض، وذلك لأن المياه الجوفية في أرض صبيا متوافرة بكميات كبيرة ـ والحمد لله ـ، ولكن السبب يرجع إلى عدم وجود البديل الحديث عن الوسائل القديمة لإخراج الماء المتمثلة في إنزال الدلو في البئر العادية بواسطة (الرِّشَا)، وهو حبل طويل، ثم جره بواسطة أحد الثيران المربوط به الحَبْل. وهكذا تتكرر عملية إنزال الدلو في البئر وجره حتى تمتلىء الجِرَار وتحمل إلى البيوت على ظهور الحمير.

ذلك كان حال أهل صبيا في الماضي. أما اليوم ـ فلله الحمد والشكر ـ فلم تعد (الغُبْرَة) تخيفهم لأن البيوت القش لم يعد لها وجود في صبيا بعد أن حلَّت محلها العمارات الأسمنتية المسلحة ذات الطابقين والثلاثة الطوابق، وأصبح الماء متوافرًا في كل بيت داخل خزانات واسعة حديثة تجلب من الآبار الارتوازية بواسطة الشبكات التي مدت إلى كل بيت.

وأصبحت وسائل الإطفاء الحديثة موجودة في صبيا وفي حالة استعداد تام لإطفاء أي حريق في أي بيت وفي اللحظات الأولى، وفي أسرع وقت، وذلك بفضل الله ـ تعالى ـ، ثم بفضل النهضة الحديثة التي ترعاها حكومتنا الرشيدة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، والتي حققت للمواطن سعادته ورفاهيته وأمنه.

أحياء صبيا

تنقسم مدينة صبيا إلى ستة أحياء هي:

(١) الحي الغربي، ويطلق عليه «المركز الأسفل».

(٢) الحي الشمالي، ويطلق عليه «المركز الشامي».
(٣) الحي الجنوبي، ويطلق عليه «المركز اليماني».
(٤) الحي الشرقي، ويطلق عليه «المركز الأعلى».
(٥) مركز «الخواجية».
(٦) حارة «منامة».

ولكل حي من هذه الأحياء الستة شيخ مسئول عنه، وهو فرد من أفراد القبيلة البارزين يختاره أهل الحي لثقتهم فيه. ويقوم الشيخ بأعمال أمير القبيلة دون أن تمتد مسئوليته إلى النواحي الدينية التي يختص بها القضاة.. ويبلغ عدد سكان صبيا بقسميها نحو خمسين ألف نسمة.

سوق صبيا

ولصبيا سوق عام مثلها مثل غيرها من مدن المنطقة، ويقام يوم (الثلاثاء) من كل أسبوع وإن كان سوقها في حركة تجارية طوال أيام الأسبوع، والمواد المطلوبة تتوافر في سوقها باستمرار، ويفد في يوم سوقها العام الباعة والمشترون من أماكن بعيدة. فالباعة يجلبون ما لديهم من المواشي كالبقر والإبل والأغنام، وما يتوافر لديهم من السمن والعسل والبن وغير ذلك من السلع، والمشترون يأخذون ما يحتاجون إليه من سلع.

صبيا.. والزراعة

تنقسم أرض صبيا الزراعية إلى قسمين:
(١) **أرض طينية**: وهذه الأرض خصبة جدًا بسبب ما تحمله السيول الآتية إليها من الجبال الشرقية من طمي وهو سماد طبيعي للأرض، بل أكثر نفعًا لها من السماد الصناعي. وهذه الأرض تنتج مختلف الفواكه والخضراوات. ومن أبرز الفواكه: الموز. والتين. والقشطة. والباباي. والحبحب. والبطيخ.. ومن الحمضيات: البرتقال. والليمون. بالإضافة إلى ما تنتجه من حبوب الذرة. والدخن. والسمسم. والدجر (اللوبيا).

(٢) **أرض رمليـة** : وهذه الأرض تروى بمياه الأمطار، ومياه الآبار الارتوازية ، وبها الكثير من الآبار الارتوازية ، وقد انتشرت المزارع على مساحات واسعة من هذه الأرض في كل جهـة وأنتجت الكثير من الفواكه والخضراوات . وقد قام بعض المزارعين بغرس بعض أشجار النخيل فأثمرت، وهذا يدل على صلاح الأرض لغرس أشجار النخيل ، وتسمى هذه الأرض (خُبُوتْ) مفردها (خَبْت) .

وقد كانت صبيا كغيرها من مدن المنطقة تصُدر الفائض من إنتاجها من الحبوب إلى الحجاز واليمن ، وإلى بعض بلدان شرق أفريقيا، لكن إنتاجها اليوم أصبح أقل من السابق بسبب قلة الأيدي العاملة التي كانت متوافرة في الماضي، نظرًا لتوسع مجالات العمل لهذه الأيدي العاملة في ميادين أخرى غير الزراعية .

فالعامل اليوم يجد عملاً غير زراعي بأجر أكثر، وجهد أقل ، مما جعله يحجم عن العمل في الحقل الزراعي ، إلا القليل مما جعل المزارعين يحصرون جهودهم على بعض أراضيهم الزراعية وليست كلها حتى يتسنى لهم وجود العمال الذين يقومون بالعمل في المزارع ، علمًا بأنهم يدفعون لهؤلاء العمال أجورًا أكثر مما كانوا يدفعونها في الماضي ، حتى لا يتعطل العمل في الحقول الزراعية .

ومن أسباب تراجع الزراعة ـ أيضا ـ هجرة الأيدي العاملة إلى المدن للعمل في مجالات تدر عليهم دخلاً طيباً إلى جانب المركز الاجتماعي .

ولكن ، على الـرغم من انخفـاض الإنتـاج الـزراعي عما كان عليه من قبـل للأسباب التي أشرنا إليها فإن صبيا لاتزال تنتج كثيراً من الحبوب ، وتصدر الفائض منه إلى بعض مناطق المملكة مثل (محائل) عسير و(حلي) ، كما تصدر بعض الحبوب إلى (الرياض) و(جدة) .

أودية صبيا

لصبيا أربعة أودية رئيسية غير روافدها الكثيرة، وهذه الأودية هي :

(١) وادي قِصِي ومساقط مياهه من جبال (بني الغازي) الشمالية.

(٢) وادي صبيا ومساقط مياهه من جبال (هروب) الجنوبية وجبال (آل أمصهيف).

(٣) وادي دَامِسْ ومساقط مياهه من جبال (مِنْجد) والجبال القريبة من مركز (هروب).

وكل هذه الأودية الثلاثة تلتقي فتشكل واديًا واحدًا يطلق عليه (وادي صبيا)، ذلك لأن وادي (دَامِسْ) يلتقي بوادي صبيا في موضع يطلق عليه (المُنْقَعِرَة). وهذا الموضع يقع إلى الغرب من قرية (العرَّافي) التابعة لصبيا بمسافة تقل عن كيلومتر واحد. أما (وادي قصي) فيلتقي مع (وادي دامس) و(وادي صبيا) المندمجين في موضع يقال له (المَجْمَعْ) الذي يقع إلى الشرق من قرية (جَرَّجبريل) بمسافة كيلومتر واحد. ومن هناك يتجه واد واحد يطلق عليه (وادي صبيا).

(٤) وادي نَخْلاَنْ وهذا الوادي يفصل بين العكوتين الشمالية والجنوبية، ومساقط مياه هذا الوادي من الهضاب القريبة من قرية (أَمْزَهْب)، وهي من قرى قبيلة عَبْس). القسم التابع لمركز هروب.

وصبيا مدينة تحيط بها الخضرة من كل جانب فعلى الضفة الجنوبية من واديها الجميل وإلى الغرب من المدينة تطل عليها غابة من (أشجار السدر) أضفت على المدينة حِللاً سندسية ووهبتها منظرًا خلابًا يريح النفس. وقد انتشرت المزارع من حولها على مساحات واسعة من الأرض خاصة بعد أن توسع المزارعون في حفر الآبار الارتوازية في أراضيهم الزراعية، فأصبحت دائمة الخضرة. وتمتاز صبيا بوفرة مياهها الجوفية الصالحة لري الأراضي الزراعية والمياه المستخرجة من الآبار الارتوازية الموجودة بالمدينة نفسها صالحة للشرب وحلوة المذاق.

ومما يدل على وفرة مياهها الجوفية قرب مياهها من سطح الأرض. فلو قام مزارع بحفر بئر ارتوازية(*) لري أرضه الزراعية فإنه لن يصل في حفره إلى عمق ستة عشر مترًا

(*) الحفر بالطريقة الارتوازية أما المياه ففي العرف العلمي سطحية.

إلا ويتدفق الماء بغزارة وعلى الرغم من وجود أعداد كبيرة من الآبار الارتوازية التي تسقي مساحات واسعة من الأراضي الزراعية فإن منسوب تدفق الماء من الآبار الارتوازية لم ينخفض.

وقد ألهمت صبيا وواديها الجميل الكثير من الشعراء فراحوا ينظمون روائع أشعارهم، ومن هؤلاء الشعراء السيد: محمد علي الإدريسي حيث ذكر صبيا وهو في غربته فقال:

ألا هل لقلبي سلوة عن معاهد ... بشرق (الغَرا) حيث المكارم والنبل
بها القلب في دين الهوى قد جعلته ... شعوراً ودمع العين راوٍ له نقل

والواقع أن مدينة صبيا تقع إلى الشمال من قرية (الغَرَا) التي أشار إليها الإردريسي، وليست من الشرق، ولكن الإدريسي وقد نظم القصيدة التي منها هذين البيتين حين كان يدرس في مصر كان يرى أن قرية (الغَرَا) التي هي إحدى قرى صبيا القريبة منها، وكذلك القرى التي تقع إلى الشرق من (الغَرَا) هي كلها في نظره صبيا.

الفصل الثاني

صبيا.. والتاريخ

الأسر التي حكمت صبيا:

* أسرة الحكميين
* أسرة الغوانم
* أسرة الذروات
* أسرة الخواجية
* أسرة ال خيرات
* حكم محمد علي الادريسي
* علي بن محمد الادريسي
* الحسن بن علي الادريسي

كان بودي أن أعطي القارىء الكريم لمحة تاريخية عن مدينة صبيا حينما كانت في موقعها الأول المسمى (أبو دَنْقُور). وعن تاريخ تأسيسها ومؤسسها الأول. وأنماط مبانيها. وعدد سكانها. وكيف عاش أهلها. والأعمال والمهن والحرف التي قاموا بها.

لكنني ـ مع الأسف الشديد ـ لم أستطع التوصل إلى المصادر التاريخية التي تساعدني على إعطاء صورة متكاملة وشاملة عن هذه المدينة. وكل ما حصلت عليه هو جملة مقتضبة أوردها الهمداني في كتابه: (صفة جزيرة العرب). يقول فيها: «إن صبيا قرية من قرى «مخلاف حَكَمْ[1]». وجملة أخرى مقتضبة ـ أيضًا ـ أوردها ياقوت الحموي في كتابه: (معجم البلدان). يذكر فيها أن «صبيا قرية من قرى مخلاف عثَّر[2]».

ومن تأريخ الفترة التي عاش فيها الهمداني وهو القرن الثالث عشر وأواسط العقد الرابع من القرن الرابع عشر حيث توفي في عام ٣٣٤هـ، ومن التأريخ الذي عاش فيه الحموي حيث ولد في عام ٥٧٢هـ، وتوفي في عام ٦٢٦هـ، يتضح أنهما ـ أي الهمداني والحموي ـ كانا يقصدان موقع «صبيا» الذي كان يسمى (أَبُوْ دَنْقُور)، وليست «صبيا» التي تقع في مكانها الحالي المعروف لدى الجميع.

---

(١) ص(٧٦).
(٢) جـ(٣) ص(٣٩٢).

لذلـك ظل هذا الجـانب التـاريخي من حياة صبيا الـواقعة مكان (أَبُو دَنْقُور) مجهولاً. ولأن لكل زمان دولته ورجاله! فقد خضعت مدينة «صبيا» والقرى التابعة لها لدول وحكومات تعاقبت عليها مع مرور الزمن شأنها في ذلك شأن غيرها. لكن سلطة تلك الدول التي تعاقبت على مدينة «صبيا» كانت «سلطة اسمية» في الوقت الذي كانت فيه السلطة المباشرة والفعلية بيد رؤساء العشائر القوية فيها.

ولقد بذلت جهدي للوصول إلى معرفة ما إذا كانت هناك أسر أو أسرة سبقت أسرة «الحكميين» على حكم «صبيا»، لكنني لم أجد ما أستند عليه. لذلك فإن أسرة «الحـكـمـيين» تعـد أول أسرة حكـمت «صـبـيا»، ثم أصبـحـت جزءًا من «المخلاف السليماني[1]» الممتد من «الشَّرْجَة» إلى «حَلي» تحت إمارة (سليمان بن طَرَفْ الحَكَمِي)، الذي تولى حكم المخلاف، وأطلق عليه اسمه، وذلك من عام (٣٧٣هـ) إلى عام (٣٩٣هـ)، واتخذ في الوقت نفسه مدينة «عثَر» قاعدة له.

الأسر التي حكمت صبيا

تولت حكم صبيا مجموعات من الأسر في أوقات مختلفة من التاريخ ومن هذه الأسر:

(١) أسرة الحكميين: تولت هذه الأسرة حكم صبيا. وظل رؤساؤها يتعاقبون الحكم عليها لفترة من الزمن سواء أيام أن كانت قرية من قرى «مخلاف حَكَمْ»، أو بعد أن أصبحت جزءًا من المخلاف الذي استقل به أحد أفراد هذه الأسرة، وهو: (سليمان بن طَرَفْ الحَكَمِي)، وأطلق عليه اسم (المخـلاف السليماني)[2] نسبة إليه. ومع ذلك فلم يذكر المؤرخون أسماء من تولوا الحكم على صبيا أو غيرها من مناطق نفوذ هذه الأسرة باستثناء اسم(سليمان بن طَرَفْ الحَكَمِي)، الذي أورده الأستاذ محمد العقيلي في كتابه: (تاريخ المخلاف السليماني). وكان سليمان هذا حاكمًا عامًّا على المخلاف، ولم يكن أميرًا لصبيا وحدها.

(١) المخلاف السليماني.. تأليف: الأستاذ محمد أحمد العقيلي جـ(١) ص(٦٧).
(٢) المصدر السابق جـ(١) ص(٧١).

ومعلوم أن الحكم العشائري يقوم على الإصلاح بين المتخاصمين جماعات وأفرادًا، وأخذ الكفلاء عليهم ضمانًا لتنفيذ ما تم عليه الصلح. لذلك فإن الوضع الأمني بصفة عامة كان يسوده القلق والخوف، وعدم الاستقرار لافتقاره إلى السلطة القوية التي تحفظ الأمن وتضرب بيد من حديد على أيدي العابثين به.

وعشيرة الحَكَمِيين هذه لاتزال موجودة إلى الآن. وهي كثيرة العدد، وتقطن في جهات متفرقة من منطقة جازان مثل صبيا، وأبو عريش، وبَيْش، والدَّرْب، وفَيْفَاء، والمَضَايَا وقراها. وأماكن أخرى.

(٢) **أسرة الغوانم**: آلت الإمارة بعد «الحَكَمِيين أو «الحَكَامِيَة» - كما يقال لهم - إلى أسرة «الغوانم» الذين ينتمون إلى العلويين[١] من أبناء (غانم بن يحيى بن حمزة بن رهَّاس بن أبي الطيب الحسني العلوي). وقد سيطرت هذه الأسرة على جلّ المناطق التي كانت خاضعة للحَكَمِيينْ أو الحكامية. ويتضح ذلك من المناطق والقطاعات التي كان يحكمها رؤساء أسرة الغوانم).

فقد كان «عيسى بن حمزة»[٢] أميرًا على «مخلاف حَكَمْ» و«يحيى بن حمزة»[٣] أميرًا على «مخلاف عثّر» الممتد من شمال صبيا إلى «حَمَضَة»، بالقَحْمَة شمالاً، وعلي بن محمد بن ذروة، كان أميرًا على خُلَب وماصاقبها شمالاً. أي أنه كان أميرًا من «خُلَبْ» جنوبًا إلى «صبيا» شمالاً.

وخُلَب وادٍ يمر جنوب بلدة (الأَحَدَ بالمَسَارِحة). والواضح من ذلك أن رؤساء أسرة «الغوانم» كانوا أمراء قطاعات، ولا يعرف بالتحديد أسماء من تولى الإمارة على صبيا ذاتها سواء كانوا من الرؤساء أنفسهم أو ممن كانوا يعينون على إمارتها.

---

(١) تأريخ المخلاف السليماني، للأستاذ محمد العقيلي جـ(١) ص(٢٠٨).
(٢) المصدر نفسه جـ(١) ص(٢٠٣).
(٣) المصدر نفسه جـ(١) ص(٢٠٧).

(٣) **أسرة الذروات**: هذه الأسرة فيما يبدو هي امتداد لأسرة «الغوانم»، لأن التاريخ لم يذكر لنا اسم أي أسرة تولت حكم صبيا بعد أسرة «الغوانم» مباشرة، سوى «أسرة الذروات». وقد ورد اسم (علي بن محمد بن ذروة) ضمن أسماء الرؤساء الغوانم حيث كان أميراً على «خَلَبْ» وما صاقبَها شمالاً.

وأعتقد أن هذا الأمير كان أحد أفراد أسرة الذروات. أو أنه هو عميد هذه الأسرة. وقد كان رؤساء الذروات حكامًا على صبيا وبعض قراها أيام كانت صبيا في (أَبُو دَنْقُور) ولكن للأسف لم يذكر التاريخ أسماء من تولوا الإمارة على صبيا من رؤساء هذه الأسرة. ولاتزال أسرة الذروات موجودة وتقطن في القرى الواقعة إلى الشرق من مدينة صبيا وإلى الشمال الشرقي والجنوب الشرقي منها. ومن هذه القرى «الحُسَيْني» و«جُخَيْرَة» و«العَرِيشْ» و«المِعْتَرِض» و«بَيشَة»/و«الحُسَيْنية». وغيرها من قرى صبيا.

(٤) أسرة الخواجية: آلت إمارة صبيا من أسرة الذروات إلى (أسرة الخواجية)، حينما كانت صبيا في موقعها الأول المسمى (أبو دَنْقُور) وأول من تولى الإمارة من هذه الأسرة هو (عيسى بن حسين الخواجي) المتوفى عام (٩٥١هـ) وخلفه من بعده (دريب بن مهارش الخواجي). ومن المؤسف أنني لم أحصل على مراجع أو معلومات توضح أسماء رؤساء الخواجية الذين حكموا صبيا في حلقات متسلسلة، بحيث يمكننا أن نقف من خلالها على الدور الذي قام به كل رئيس على حدة إبّان إمارته على صبيا. والأحداث التي جرت في عهده.

وكل ما حصلنا عليه هو بعض أسماء وردت في كتاب الأستاذ محمد أحمد عيسى العقيلي: (تاريخ المخلاف السليماني) في صفحات متفرقة منه، ومن هذه الأسماء (عبدالوهاب الخواجي)، و(شمس الدين الخواجي) و(دريب بن مهارش الخواجي) السالف ذكرها. ولاتزال هذه الأسرة موجودة بأعداد كثيرة تقطن في صبيا بقسميها، كما تسكن في غيرها من مدن وقرى منطقة جازان مثل مدينة (أبو عريش) وبلدة (الشُّقَيري) من قرى وادي ضمد و(البَاحِر) من قرى صبيا، و(السَّلاَمَة العُلْيَا) و(السَّلاَمَة السُّفْلَى)، وفي بعض جهات من منطقة عسير مثل (قَنَا) و(خميس البحر).

(٥) **أسرة آل خيرات**: كانت إمارة هذه الأسرة محصورة في الجزء الممتد من «حَرَضْ» في اليمن الشمالي جنوبًا، إلى مدينة (أبو عريش) شمالاً، لكنها استطاعت أن تضم إلى رقعة نفوذها مدينة صبيا ومخلافها الشمالي، وأن تنتزع السلطة من الخواجية الذين كانوا يحكمون صبيا بموافقة الدولة التي كان المخلاف يدخل ضمن مناطق حمايتها في ذلك الوقت.

ومن رؤساء هذه الأسرة الذين عرفوا وتولوا إمارة صبيا: الأسماء التالية:

- الرئيس ناصر بن محمد الخيراتي
- الرئيس ناصر بن منصور الخيراتي
- الرئيس منصور بن ناصر الخيراتي

ولا تزال هذه الأسرة موجودة إلى الآن، وهي كثيرة العدد، وتقطن في كثير من مدن وقرى منطقة جازان، ومنها مدينة «جازان» نفسها. ومدينة صبيا، وأبو عريش. لكن غالبية أفراد هذه الأسرة تقطن في مدينة (سامطة) وقراها. وبعضهم يقطن في قرية «الحسينية» إحدى قرى مدينة صبيا. كما أن بعضهم يقطنون مدينة الرياض، ومكة المكرمة، وجدة.

حكم محمد علي الادريسي

تولى (السيد محمد علي الادريسي) الحكم على صبيا في شهر ذي الحجة من عام ١٣٢٦هـ، في وقت كان الأتراك يسيطرون فيه على المخلاف السليماني سيطرة رمزية لم يكن لها أثر، ولم تستطع إحداث تغيير في الأوضاع الأمنية المضطربة التي كانت تسود المخلاف في ذلك الوقت، فقد كانت الفتن قائمة على أشدها بين القبائل. لكن الإدريسي استطاع بالتعاون مع شيوخ القبائل وتوافر الرغبة لدى القبائل أنفسهم في هذا التعاون أن يسيطر على الأوضاع الأمنية في المخلاف فاستقر الأمن نسبيًا.

وكان (الإدريسي) قبل توليه الحكم قد سعى للإصلاح بين أهل صبيا وقبائل «الجَعَافِرَة»، وأخمد نيران حرب اشتعلت بينهما طوال ست سنوات.

وقد برز بعض المناوئين لحكم الإدريسي في المنطقة. فبرز في صبيا (أحمد شريف الخواجي). وفي أبو عريش (منصور صعدي)، وفي مدينة جازان (علي سويد الأنصاري)، وفي فرسان (عبدالله سهيل)، وفي ضمد (أحمد الهوادني)، فقام الإدريسي باتخاذ إجراءات ضدهم فنفي (منصور صعدي) إلى بلاد (شهران) وسجن (علي سويد الأنصاري) في جبل «النظير»، أما (عبدالله سهيل) فقد فرّ إلى اليمن، وحين عاد أدخله السجن. وقام الإدريسي بقطع يدي (أحمد شريف الخواجي) في صبيا. واستسلم (أحمد الهوادني) صاحب «ضمد» فعفا عنه.

وقد اتصفت الفترة التي قضاها السيد محمد علي الإدريسي في الحكم بالاستقرار النسبي، فقلت الاعتداءات والحوادث، ونشطت الحركة التجارية في سوق صبياء لكثرة الوفود التي كانت تفد على (الإدريسي) من مختلف مناطق نفوذه، وما كانت تصرفه هذه الوفود من مال في سوق صبيا لشراء ما تحتاج إليه من سلع تجلبها معها إلى مناطقها، فاتسعت الرقعة الزراعية باستصلاح المزيد من أراضيها وتحسن الإنتاج الزراعي بعض الشيء. وقد استصلح الإدريسي نفسه مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في «اللخبصية» و«بيش». وكانت علاقة الإدريسي بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ تغمده الله بواسع رحمته ـ علاقة حسنة وثقة متبادلة إلى درجة أن الإدريسي كتب وصية[1] وجهها للملك عبدالعزيز قلده فيها بأن يكون وصيًا على أهله وعائلته بعد وفاته، نصها: «إني أجلت النظر في أنحاء الجزيرة العربية فلم أجد أهلاً للثقة ورعاية عهود الإخاء سواكم، واعلموا أن ابن آدم رهن المنون فإذا توفاني الله فأنتم المقلدين بالوصاية على عائلتي وأهلي». انتهت الوصية.

وقد توفي السيد محمد علي الإدريسي في شهر شعبان من عام ١٣٤١هـ. وكان من وزرائه الشيخ (محمد يحيى باصهي). الشيخ يحيى زكري حكمي). (الشريف حمود سرداب). الشيخ (محمد طاهر رضوان).

(١) المصدر السابق جـ(٢) ص(٧٥٧).

ومن القضاة الشرعيين في عهده المشايخ: (محمد حيدر القُبيّ). (محمد أمين الشنقيطي). (علي بن حسن الضمدي). (علي إبراهيم عطيف النعمي). (محمد عبدالله عطيف النعمي). (عبدالله العمودي). (علي بن محمد السنوسي). (محمد نور المارديني).

ومن قادة الجيش في عهده: (محمد طاهر رضوان). (حمود سرداب الحازمي). (السيد مصطفى النعمي). (السيد عبدالرحمن بن ظافر). (السيد عرار بن ناصر النعمي). (السيد ابن غُمّيضْ النعمي). (السيد يحيى بن عرار النعمي). (السيد محمد بن عرار النعمي). (علي بن محمد شبيلي). (علي بن أحمد الحازمي). وكان الشيخ (علي بن أحمد قناعي الحربي). كاتبًا لرسائل الإدريسي.

ومن رجال صبيا البارزين في عهده: (ناصر مريّعْ). (علي شامي شافع). (حسن فاسخ). (جبريل إسحاق). (حسن عابدين). (يوسف علي عقيلي). (رشيد الصّم).

علي بن محمد الادريسي

تولى الحكم على صبيا بعد وفاة والده محمد علي الإدريسي في شهر شعبان من عام ١٣٤١هـ، وقد وقعت بعض الأحداث بينه وبين عمه (الحسن بن علي الإدريسي) على السلطة.

فالحسن الإدريسي يرى أنه الأحق بالحكم من ابن أخيه الذي كان صغيراً في ذلك الوقت، وأنه هو الأقدر على إدارة دفة الحكم بحكم كبر سنه وخبرته، بينما يرى (علي الإدريسي) أنه هو الأحق بالحكم، لأنه الوارث الشرعي لوالده السيد/ محمد علي الإدريسي ولكل واحد من الرجلين من يؤيده. وقد سارع (علي الإدريسي) بالانتقال إلى مدينة (جازان)، واتخذها قاعدة لحكمه بدلاً من صبيا. وأول عمل قام به بعد

انتقاله إلى (جازان) هو نفي وزراء والده وبعض المسئولين في حكومته لارتيابه في إخلاصهم له. ومن الوزراء الذين نفاهم إلى (عدن) و(مصوّع) في إرتيريا. (محمد بن يحيى باصهي. يحيى زكرى حكمي. حمود سرداب الحازمي. محمد طاهر رضوان). ومن المسئولين الآخرين في حكومته: (محمد حيدر القبيُّ. محمد أمين الشنقيطي. علي إبراهيم عطيف. محمد عبدالله عطيف. علي بن محمد الحازمي. عبدالرحمن العتمي. محمد نور المارديني). وقد عين عددًا من الوزراء الجدد وهم: (محمد عبدالله باصهي. عبدالقادر باصهي. عمر صالح هاشم. عبده جراد).

وقد اتصفت فترة حكمه باختلال الأمن وعدم الاستقرار وكثرة الحوادث والاعتداءات، وانكمشت الحركة التجارية بسوق صبيا بسبب انقطاع الوفود عن الوصول إلى صبيا، كما كان الحال في عهد والده، وبانقطاع الوفود عن الوصول إلى صبيا انقطع الدخل المادي الذي كان يحصل عليه الباعة من السوق الذي كان يساعد على نمو الحركة التجارية ونشاطها، كما اشتد الصراع بينه وبين عمه (الحسن بن علي الإدريسي)، فوصل إلى درجة الاقتتال بين الجانبين، مما جعل جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - رحمه الله - يسارع إلى بذل الوساطة بين الجانبين، رغبة منه في إصلاح ذات البين، وحقن الدماء، فبعث وفدًا برئاسة (محمد بن دليم) وعضوية كل من: (السيد عبدالرحمن بن ظافر النعمي. والسيد مصطفى النعمي. والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة) للوساطة بينهما ووصل الوفد الذي بذل جهده في حل الخلاف، ولكن الصراع كان قد اتسع، فتعذر على الوفد إيجاد الحل. وانتهى الصراع أخيراً بتنازل (علي بن محمد الإدريسي)، عن الحكم لعمه (الحسن بن علي الإدريسي) وسمح له عمه بترك المنطقة فغادرها إلى مكة المكرمة، حيث أقام بها في رحاب الملك عبدالعزيز، وفي رعايته الكريمة.

الحسن بن علي الادريسي

تولى الحكم على صبيا بعد تنازل ابن أخيه (علي بن محمد الإدريسي)، في أواخر عام ١٣٤٤هـ، وفي أوائل عام ١٣٤٥هـ عاد بعض الوزراء المنفيين إلى صبيا قاعدة

حكم (الحسن الإدريسي)، وهم: (الشيخ محمد يحيى باصهي، والشيخ يحيى زكري حكمي، والشريف حمود سرداب الحازمي). فأعادهم الحسن إلى أعمالهم، كما كانوا في عهد أخيه محمد علي الإدريسي، كما عاد بعض المسئولين الآخرين.

وفي أوائل عام ١٣٤٥هـ ـ أيضا ـ أبدى (الحسن الإدريسي) رغبته في طلب الحماية من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ـ يرحمه الله ـ فعرض عليه رغبته في طلب الحماية، فحقق له جلالته هذه الرغبة، وتم إبرام معاهدة الحماية التي أطلق عليها (معاهدة مكة المكرمة)، وذلك في شهر ربيع الآخر من عام ١٣٤٥هـ. وبموجب هذه المعاهدة أصبح (الحسن الإدريسي) تحت الحماية السعودية. وكان من ضمن بنود هذه المعاهدة بند ينص على أنه «لا يحق للحسن الإدريسي إشهار الحرب أو إبرام الصلح مع أية جهة إلا بموافقة الحكومة السعودية»، وطبقا لهذه المعاهدة وصل أول مندوب سعودي إلى صبيا عام ١٣٤٦هـ، وهو (صالح عبدالواحد)، وقد أقام المندوب مدة في صبيا ثم انتقل إلى جازان حيث اتخذها مقرا للمندوبية السعودية، وفي عام ١٣٤٧هـ، وصل (عبدالله بن خثلان) مندوبًا ساميًا خلفًا لصالح عبدالواحد. وفي عام ١٣٤٨هـ، وصل (حمد الشويعر) مندوبًا ساميًا خلفًا للمندوب (عبدالله بن خثلان). وتوالى وصول المندوبين السعوديين إلى جيزان حيث مقر المندوبية السعودية. لكن (الحسن الإدريسي) في عام ١٣٥١هـ، قام بحركة اعتبرها الملك عبدالعزيز خروجًا على المعاهدة وإخلالاً بنصوصها، مما اضطره إلى التدخل لإنهاء تلك الحركة التي تسببت في انتشار الفوضى ووقوع الحوادث، والاعتداءات، وإزهاق أرواح مواطني المنطقة.

وقد تمكن الملك عبدالعزيز من القضاء على الحركة، وفرض الأمن ونشره في ربوع المنطقة وحقن دماء المواطنين. فرغب الحسن الإدريسي أن يعيش في رعاية الملك عبدالعزيز وتكريمه، فتم له ما أراد، فأقام مع عائلته في مكة المكرمة إلى أن توفاه الله بها.

ومن الشخصيات البارزة في حكومة الحسن الإدريسي: محمد مكي زكري، ابن الشيخ يحيى زكري حكمي، أحد وزراء الحسن الإدريسي، وأحد وزراء أخيه محمد

علي الإدريسي، ولم تكن فترة حكمه بأحسن حظًّا من الفترة التي أمضاها سلفه علي بن محمد الإدريسي في حكمه، فقد كانت فترة حكمه مسرحًا للحوادث والقتل والسلب والنهب، وكانت فترة ركود للحركة التجارية والإنتاج الزراعي.

●●●

الفصل الثالث

القرى التابعة لصبيا

* القرى الواقعة إلى الشرق من مدينة صبيا
* القرى الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة صبيا
* القرى الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة صبيا
* القرى الواقعة إلى الجنوب من مدينة صبيا
* القرى الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة صبيا
* القرى الواقعة إلى الغرب من مدينة صبيا
* القرى الواقعة إلى الشمال من مدينة صبيا
* القرى الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة صبيا

تتبع مدينة صبيا أكثر من مائة قرية، وعشرات الحلل الصغيرة، وهي في الواقع قرى معروفة ومشهورة، بل إن بعض القرى أصبحت اليوم مدنًا صغيرة مثل(العالية) والظَّبْيَة) و(الحُسَيْنِي) لانتشار العمران الحديث فيها، وفي أماكن لم يصلها العمران من قبل. ولن أتعرض للحلل الصغيرة كلها باستثناء بعضها لأن هذه الحلل المستثناة لاتزال تحتفظ بأسمائها كحلل، على الرغم من أنها أصبحت اليوم عبارة عن قرى، وبالرغم من أنني قد وضعت خارطة لهذه القرى إلا أنني أخشى أن لا تفي هذه الخارطة بالفائدة المرجوة منها، لأي سبب من الأسباب، كأن تكون غير صالحة، أو تكون كتابتها صغيرة ومتقاربة، فيصعب على بعض القراء قراءتها نظرًا لقرب المسافات بينها. لذلك رأيت من المفيد وضعها في بيان يوضح أسماءها ومواقعها، وبعد المسافة بينها متوخيًا من ذلك فائدة القارىء الكريم.

القرى الواقعة إلى الشرق من مدينة صبيا

* قرية صَلْهَبَة: وتقع جنوب الخط المتجه شرقًا إلى عَيْبَان ـ فَيْفَاء، الدَّاير في (بَنِي مَالِك)، وقد كانت المسافة بينها وبين صبيا القديمة هي المسافة نفسها بين صبيا الجديدة وصبيا القديمة، أي ثلاثة كيلومترات. وقد تلاشت هذه المسافة لامتداد العمران بينهما بحيث أصبحت قرية (صَلْهَبَة) اليوم ملاصقة لمدينة صبيا الجديدة من الجهة الجنوبية.

* قرية الحُسَيْنِي: وتقع إلى الشرق من صبيا الجديدة، والمسافة بينهما حاليًا تقل عن كيلومتر واحد نتيجة امتداد العمران بينهما. والواقع أن الحُسيني حاليًا أصبحت عبارة عن مدينة صغيرة ولم تعد قرية كما كانت في الماضي لاتساع عمرانها وزيادة سكانها. كما امتدت إليها شبكات مياه الشرب العذبة فدخلت كل منزل ومدت إليها شبكات الكهرباء مما ساعد على توسع عمرانها وقيام العمارات المسلحة بها.

وبها سوق يضم العديد من المواد الغذائية ومواد البناء وغير ذلك من السلع، وهذا السوق مستمر طوال أيام الأسبوع.

* **حلة بن مَحْوَسْ:** وتقع هذه القرية إلى الشرق من قرية الحسيني بمسافة تقدر بثلاثة كيلومترات وهي جنوب الخط المتجه شرقًا إلى (عيبان).

* **قريـة جُخَيْرَة:** وتقـع إلى الشرق من (حلة بني محوس)، والمسـافة بينهما ثلاثة كيلومترات تقريبًا. وهي جنوب الخط المتجه شرقًا إلى عيبان ـ أيضًا ـ.

* **قرية جَرُّ مسعود:** [1]، وتقع إلى الشرق من قرية (جُخَيْرة) بمسافة كيلومترين، وهي جنوب الخط المتجه شرقًا إلى عيبان.

* **قريـة جَرُّ جبريـل:** [2]، وتقـع إلى الشرق من قرية (جَـرُّ مسعـود) بمسـافـة كيلومترين. وهي جنوب الخط السالف الذكر.

* **قرية مَسْلُوعَةْ:** وتقع إلى الشرق من (جَرُّ جبريل)، بمسافة تقدر بنحو تسعة عشر كيلو مترًا، وهي إلى الشمال من الخط المتجه إلى عيبان. وتوجد حول هذه القرية بعض الهضاب والأرض الحزون وتتخللها بعض الأراضي الزراعية.

* **قريـة قعـاس:** وتقـع إلى الجنـوب الشرقي من قرية (مسلوعة)، بمسـافة ثلاثة كيلومترات تقريبًا، وهي جنوب الخط المزفت المتجه إلى عيبان. وتوجد حول هذه القرية بعض الهضاب والأرض الحزون، وبها بعض الأراضي الزراعية.

القرى الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة صبيا

* **قرية الحسينية:** ويطل عليها (جبل عكوة الشمالي) من الجهة الغربية، والمسافة بينها وبين صبيا تقدر بواحد وعشرين كيلومترًا تقريبًا.

(١ ، ٢) هما قريتان تقعان شرق (جخيرة)، ويحملان اسمًا واحدًا (جرّ)، ولكن كل واحدة منها تحمل اسم مؤسسها: فالأولى: (جرّ مسعود) من ناحية الغرب، والثانية: (جر جبريل) شرق الأولى، وتفصل بينهما المسافة التي ذكرت.

* **قرية الكدمي:** وتقع إلى الشرق من الحسينية بمسافة خمسة كيلومترات تقريبًا، وقد أنشىء في هذه القرية مركز للإمارة منذ ستة عشر عامًا تقريبًا، ويرتبط بهذا المركز بعض القرى المجاورة، على الرغم من أن هذه القرى لاتزال ترتبط بمدينة صبيا في كل المرافق الأخرى. وتوجد حول هذه القرية بعض الهضاب والأراضي الزراعية.

* **قرية الرابغة:** وتقع إلى الشرق من قرية (الكدمي) بمسافة ستة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية الهيجة:** وهي إلى الشمال من قرية (الكدمي) بمسافة ستة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية مشلحة:** تقع إلى الشمال من قرية (الهيجة) بمسافة خمسة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية أم الطناطن:** وتقع إلى الشرق من (مشلحة) بمسافة تقدر بأربعة كيلومترات.

* **قرية العرافي:** وتقع إلى الشمال من (مسلوعة) بمسافة كيلومترين تقريبًا.

* **قرية قايم بصة:** وتقع إلى الشمال الشرقي من قرية (العزامي) بمسافة كيلومترين.

* **قرية المعاسير:** وتقع إلى الشمال الشرقي من قرية (قايم بصة)، والمسافة بينهما تقل حاليًا عن كيلومتر واحد.

* **قرية قايم جعفري:** وتقع إلى الشمال الغربي من قرية العزافي بمسافة ثلاثة كيلومترات.

القرى الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة صبيا

* قرية الظبية: وتبعد عن صبيا .بمسافة سبعة كيلومترات تقريبًا، والواقع أن الظبية حاليًا عبارة عن مدينة صغيرة نتيجة لتوسع عمرانها، وجل مبانيها اليوم من العمارات المسلحة ذات الطابقين. وقد ساعد على توسع عمرانها وجود الماء العذب في كل بيت من الآبار الارتوازية الموجودة بها إلى جانب شبكات المياه التي مدت إلى كل بيت كما مدّدت إليها شبكات الكهرباء.

والظبية تقع شرق خط الحجاز اليمن، ويوجد بالظبية سوق منتعش بالحركة التجارية طوال أيام الأسبوع. ويوجد به العديد من المواد الغذائية ومواد البناء وغيرها من السلع. كما يوجد بهذه القرية بعض المطاعم وورش إصلاح السيارات وورش صنع الأبواب الألمنيوم والشبابيك والأبواب الحديدية. ويخترق الخط العام سوق الظبية، ويربطها بالخط العام خط فرعي يتجه شرقًا كما يربطها خط آخر يتجه شمالاً من خط (أبوعريش) المتفرع من الخط العام.

* قرية قزع: وتقع إلى الشرق من الظبية بنحو كيلومترين.

* قرية المعترض: وتقع إلى الشرق من قرية (قزع) بنحو كيلومترين.

* قرية وتيشة: وتقع إلى الشرق من المعترض بكيلومترين.

* قرية العريش: وتقع إلى الشرق من قرية وتيشة بثلاثة كيلومترات تقريبًا.

* قرية الحصامة: وتقع إلى الشرق من قرية العريش بنحو ثلاثة كيلومترات.

القرى الواقعة إلى الجنوب من مدينة صبيا

* قرية الخوارة: وتقع جنوب مدينة صبيا بنحو كيلومترين ونصف الكيلومتر.

* **قرية الفرا** : وتقع إلى الجنوب من قرية الخوارة بنحو خمسة كيلومترات.

* **قرية تيهان**: وتقع إلى الجنوب من قرية الفرا بنحو خمسة كيلومترات.

* **قرية مقوزة**: وتقع على الضفة الشمالية لوادي ضمد وهي جنوب صبيا مع ميل قليل إلى الشرق بنحو تسعة عشر كيلومترًا.

* **قرية العيرة**: وتقع جنوب قرية تيهان بنحو ثمانية كيلومترات.

* **قرية السلام**: وتقع غرب قرية العيرة بنحو خمسة كيلومترات.

القرى الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة صبيا

* **قرية الباحر**: تقع جنوب غرب صبيا بنحو ثلاثة عشر كيلومترًا، وتقع إلى الشمال من الخط الفرعي المتفرع من خط صبيا ـ جازان، والمتجه غربًا إلى حلة السبخة من قرى ساحل الجعافرة، وعند حلة السبخة ينتهي الخط الفرعي، وترتبط (قرية الباحر) بخط فرعي من خط قرية السبخة يتجه شمالاً بطول كيلومتر واحد أو يزيد قليلاً. و(قرية الباحر) من القرى الكبيرة نتجية لتوسع عمرانها وقيام العمارات المسلحة ذات الطابقين بها، ومدت إليها شبكات مياه الشرب العذبة، فوّصلت إلى كل بيت، كما مدت إليها شبكات الكهرباء مما ساعد على توسع عمرانها.

* **قرية الرونة**: وتقع إلى الشمال من قرية الباحر بمسافة تزيد قليلاً على كيلومتر واحد.

قرية حوتين: وتقع إلى الشمال الشرقي من قرية الرونة بمسافة تقدر بكيلومترين.

* **قرية الجديين**: وتقع إلى الغرب من قرية الباحر بمسافة تقدر بأربعة كيلومترات، أو تزيد قليلاً، وتشتهر هذه القرية بكثرة مزارعها وجودة إنتاجها من الخضراوات والبقول، وتقع شمال الخط المتجه إلى قرية السبخة بمسافة لا تزيد على مائة وخمسين مترًا.

* **قرية نجران**: وتقع جنوب قرية الجديين، وجنوب الخط المتجه غربًا إلى قرية السبخة، وتفصل بين الخط وقرية نجران مسافة تقدر بكيلومترين ونصف الكيلومتر.

* **قرية الخوالدة**: وتقع إلى الغرب من قرية نجران بمسافة كيلومترين تقريبًا.

* **قرية الرافعي**: وتقع إلى الغرب من قرية الفرا بمسافة خمسة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية الباطنة**: وتقع إلى الغرب من قرية الرافعي بكيلومترين تقريبًا.

* **قرية العساونة**: وتقع جنوب قرية الباطنة بنحو ثلاثة كيلومترات.

* **قرية الدواحشة**: وتقع جنوب قرية الرافعي بكيلومترين.

* **قرية العيافية**: وتقع إلى الجنوب الغربي من قرية الدواحشة بنحو ثلاثة كيلومترات.

* **قرية جريبة**: وتقع إلى الغرب من قرية الجديين بنحو ثلاثة كيلومترات، وتقع شمال الخط المزفت المتجه غربًا.

* **قرية الهدوي**: وتقع إلى الغرب من قرية جريبة بنحو ثلاثة كيلومترات، وهي شمال الخط المزفت المتجه غربًا.

* قرية الحجرين: وتقع شمال قرية الهدوى بكيلومترين.

* قرية العسيلة: وتقع شمال قرية الحجرين بنحو ثلاثة كيلومترات.

* قرية الزربة: وتقع إلى الغرب من قرية الهدوى بكيلومترين.

* قرية الحرف: وتقع إلى الغرب من قرية الزربة بنحو كيلومترين.

* قرية السبخة: وتقع إلى الجنوب الغربي من قرية الحرف، وعندها ينتهي الخط المزفت المتفرع عن خط صبيا ـ جازان.

القرى الواقعة إلى الغرب من مدينة صبيا

* حلة مشاري: وتبعد عن صبيا بنحو ثلاثة كيلومترات، ويربطها بصبيا خط فرعي مزفت. وقد مدت إليها شبكة مياه الشرب، وشبكة أخرى كهربائية.

* قرية العقيبي: وتقع غرب حلة مشاري بكيلومترين تقريبًا.

* حلة الحشيبرية: وتقع غرب مدينة صبيا بمسافة ستة كيلومترات تقريبًا، وهي شمال الخط المزفت المتجه غربًا إلى قرية قوز الجعافرة المتفرع من خط الحجاز-اليمن.

* حلة عطية: وتقع شمال خط القوز وغرب قرية الحشيبرية بكيلومترين.

* قرية العدايه: وتقع جنوب خط القوز وإلى الجنوب الغربي من حلة عطية بمسافة كيلومترين تقريبًا.

* **قرية الأشله:** وتقع إلى الشمال الغربي من قرية العدايه بمسافة خمسة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية أبوالطيور:** وتقع غرب قرية الأشله بمسافة ستة كيلومترات تقريبًا، وترتبط بخط فرعي يتجه شمالاً من خط قوز الجعافرة.

* **قرية الرجيع:** وتقع جنوب قرية الأشله ويفصل بينهما خط القوز، والمسافة بين الأشله والرجيع حوالي ستة كيلومترات.

* **قرية الحقاوية:** وتقع إلى الشرق من قرية الرجيع بنحو ثلاثة كيلومترات.

* **قرية عوّانة:** وتقع جنوب قرية أبوالطيور، ويفصل بينهما خط قوز الجعافرة والمسافة بينهما نحو أربعة كيلومترات.

* **قرية العرضة:** وتقع إلى الغرب من قرية عوانة ويخترقها خط القوز، وتبعد عن عوانة بمسافة ثلاثة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية البطح:** وتقع جنوب العرضة، وهي في الواقع تتكون من قريتين متجاورتين يطلق عليهما البطح الشمالي والبطح الجنوبي، والمسافة بينهما وبين العرضة خمسة كيلومترات.

* **قرية السداد:** وتقع إلى الغرب من ألبطح بمسافة كيلومترين تقريبًا.

* **قرية البصارية:** وتقع جنوب قرية البطح بكيلومترين ونصف الكيلومتر تقريبًا.

* **قرية أم العرش:** وتقع إلى الجنوب الشرقي من البصارية بمسافة ثلاثة كيلومترات.

* قرية منسية: وتقع جنوب قرية أم العرش بنحو ثلاثة كيلومترات.

* قرية الصنيف: وتقع إلى الغرب من قرية الرجيع بنحو ثلاثة كيلومترات.

* قرية الكومة: وتقع جنوب قرية الصنيف بما يقل عن كيلومتر واحد.

* قرية وجه الحصيني: وتقع إلى الغرب من قرية العرضة بنحو كيلومترين ونصف الكيلومتر.

* قرية قوز الجعافرة: وتقع إلى الغرب من قرية وجه الحصيني بمسافة تقدر بثلاثة كيلومترات تقريبًا، وعندها ينتهي الخط المزفت الممتد إليها من الخط العام المتجه من الحجاز- اليمن، ويوجد في القوز مركز إمارة تأسس عام ١٣٩١هـ.
* قرية العواجة: وتقع إلى الشمال من قرية وجه الحصين بنحو كيلومترين.

القرى الواقعة إلى الشمال من مدينة صبيا

* قرية نخلان: وتقع إلى الشمال من مدينة صبيا مع ميل قليل إلى الشرق، وهي على الضفة الشمالية لوادي نخلان، والمسافة بينها وبين صبيا تقدر بسبعة كيلومترات تقريبًا.

* قرية أبوالسلع: وتبعد عن صبيا بنحو اثني عشر كيلومترًا، وترتبط بخط فرعي يتجه غربًا من خط: الحجاز- اليمن.

* قرية أبو القعايد: وتقع إلى الشمال من قرية أبوالسلع بمسافة خمسة كيلومترات تقريبًا وهي غرب الخط العام مباشرة.

* قرية الفرشة: وتقع إلى الغرب من قرية أبوالقعايد بمسافة خمسة كيلومترات.

* **قرية الملحا:** وتقع إلى الغرب من قرية الفرشة بكيلومترين.

* **قرية أبو البس:** وتقع جنوب قرية الملحا بنحو ثلاثة كيلومترات.

* **قرية الشاخر:** وتقع جنوب قرية أبو البس بنحو كيلومترين وهي غرب الخط العام.

* **المحلة الجديدة:** وتقع إلى الشمال من أبو القعايد بمسافة كيلومترين تقريبًا.

* **قرية أم سعد:** وتقع إلى الشمال الشرقي من أبو القعايد بمسافة كيلومترين تقريبًا.

* **قرية أم القضب:** وتقع إلى الشمال من قرية أم سعد بكيلومترين.

* **قرية محلة قاع ابن معدة:** وتقع إلى الشمال من المحلة الجديدة بنحو ثلاثة كيلومترات تقريبًا، وهي جنوب الخط العام خط: الحجاز ـ اليمن.

* **قرية غوان:** وتقع إلى الشمال من قرية قاع ابن معدة، ويفصل بينهما الخَط العام وبمسافة كيلومتر واحد ونصف الكيلومتر تقريبًا.

* **المحلة القديمة:** وتقع إلى الغرب من محلة قاع ابن معدة بنحو ثلاثة كيلومترات.

* **قائم الدش:** وتقع إلى الشمال من محلة قرية ابن معدة بمسافة ثلاثة كيلومترات وهي إلى الغرب من الخط المزفت المتجة شمالاً إلى مدينة الحقو.

* **قرية السلامة العليا:** وتقع غرب قرية قاع ابن معدة بمسافة تقدر بخمسة كيلومترات، وإلى الغرب من السلامة العليا يمتد الخط الفرعي المتجه جنوبًا إلى قرية العشة حيث ينتهي هناك. ويتفرع هذا الخط من خط: الحجاز ـ اليمن.

* **حلة العـزامـة :** وتقع شمال قرية السلامة العليا بمسافة كيلومتر واحد ونصف الكيلو تقريبًا

* **قرية المجديرة :** وتقع إلى الشمال الغربي من قرية السلامة العليا بنحو كيلومترين تقريبًا، وهي إلى الغرب من الخط العام.

* **قريـة النجمـة :** وتقع إلى الجنوب من قرية السلامة العليا، مع ميل قليل إلى الشرق وبمسافة كيلومتر واحد تقريبًا.

القرى الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة صبيا

* **قريـة الجمالة :** وتقع شمال حلة عطية بمسافة كيلومترين تقريبًا، ويربطها خط فرعي من خط قوزة الجعافرة يتجه شمالاً.

* **قرية الصامخ :** وتقع شمال قرية الجمالة بنحو ثلاثة كيلومترات.

* **حلة علي بن موسى أو الجارة الجديدة:** وتقع إلى الشمال من قرية الصامخ بنحو كيلومترين ونصف الكيلومتر.

* **قرية العشة :** وتقع إلى الشمال من حلة علي بن موسى، ويفصل بينهما مسيل وادي بيش والمسافة بين العشة وحلة علي بن موسى ثلاثة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية الجارة القديمة :** وتقع إلى الجنوب الغربي من قرية العشة، والمسافة بينهما نحو ثلاثة كيلومترات.

* **قريـة العـاليـة :** وتقع شمال قرية العشة والمسافة بينهما حوالي خمسة كيلومترات والواقع أن العالية قد توسعت عما كانت عليه في الماضي، فامتد عمرانها إلى أماكن

لم يصلهاالعمران من قبل، وامتدت إليها شبكة مياه الشرب العذبة، كما مدت إليها شبكة كهربائية من محطة كهرباء مدينة بيش، مما ساعد على توسع العمران فيها، وقيام العمارات المسلحة ذات الطابقين بها. وهي إلى الغرب من الخط المتجه جنوبًا إلى العشة بمسافة قد تقل عن خمسين مترًا. وفي العالية مركز إمارة تأسس في عام ١٣٨٦هـ، ويرتبط به بعض القرى، ولكن لا تزال العالية وقراها ترتبط بمدينة صبيا في المرافق الحكومية الأخرى، وفي العالية سوق دائب الحركة طوال أيام الأسبوع، ويحتوي على العديد من المواد الغذائية ومواد البناء وغيرها من السلع، وفي العالية بعض الورش لصنع أبواب الألمنيوم والشبابيك، وورش صنع الأبواب والشبابيك الحديدية.

* **السلامة السفلى:** وتقع في الشمال الشرقي من مدينة العالية بمسافة تقدر بخمسة كيلومترات، وهي إلى الشرق من الخط المزفت المتجه جنوبًا إلى قرية العشة حيث ينتهي هناك.

* **قرية النقاش:** وتقع إلى الغرب من قرية السلامة السفلى، وبمسافة تقدر بستة كيلومترات.

* **قرية الدهناء:** وتقع إلى الغرب من قرية العالية، وبمسافة تقدر بخمسة كيلومترات تقريبًا. وترتبط بخط فرعي يتجه غربًا يتفرع من خط العشة، ويمر الخط الفرعي إلى الجنوب من قرية العالية بمسافة تقل عن مائتين وخمسين مترًا.

* **قرية المحاصية:** وتقع إلى الجنوب الغربي من قرية العالية بمسافة ستة كيلومترات تقريبًا.

* **قرية العبادلة:** وتقع إلى الشمال الغربي من قرية النقاش، بمسافة تقدر بسبعة كيلومترات.

* قرية جحيش: وتقع إلى الغرب من قرية الدهناء، وبمسافة تقدر بأربعة كيلومترات.

* قرية جميا: وتقع إلى الجنوب الغربي من قرية جحيش بمسافة خمسة كيلومترات تقريبًا.

* قريـة نـورة: وتقع إلى الغرب من قرية جميا بنحو أربعة كيلومترات.

* قريـة شهـده: وتقع إلى الشمال الغربي من قرية نورة بنحو سبعة كيلومترات.

* قرية القصارية: وتقع إلى الغرب من قرية جحيش بنحو ستة كيلومترات.

هذه هي القرى التابعة لمدينة صبيا وهي في الواقع قرى مشهورة، ومعروفة. أما ما عداهـا فإنها هي حلل صغيرة، وبيوت متناثرة هنا وهناك، وهي في الغالب تابعة للقرى الكبيرة القريبة منها: ويبلغ العدد التقريبي لسكان هذه القرى حوالي ستين ألف نسمة. وقبائل هذه القرى خليط من العدنانية والقحطانية.

أما الحرف التي يشتغل بها سكان هذه القرى فمتنوعة: ففي الماضي، وقبل أن تشرق شمس نهضتنا التعليمية الحاضرة في العهد السعودي الميمون كان أغلب سكان هذه القرى يشتغلون بالزراعة، وتربية المواشي، ومنهم من اشتغل في حرفٍ أخرى كبناء المساكن الشعبية المبنية من الطين والآجرّ الأحمر والسقوف الخشبية، وكذلك المساكن القش التي كانت سائدة في المنطقة إلى عهد قريب. ومنهم من اشتغل في صناعة الأواني الفخـارية كجرار الماء الفخارية، وخزانات الماء الفخارية، وفناجيل القهوة، وقدور الطبخ الفخارية وغيرها من الأواني الفخارية التي تكسبهم، ولو بعض ما يحتاجونه. كما أن بعض القـرى القـريبـة من البحـر الأحمـر كَقَرْية (قوز الجعافرة) و(قرية منسية) و(السبخـة). اشتغـل بعض سكـانها بصيد الأسـماك من البحـر الأحمـر وبيعها في

الأسواق ـ ولا يزالون ـ واشتغل البعض في قطع الأخشاب التي تستخدم في سقوف البيوت الشعبية، وفي مساكن القش. كما تستعمل بعض الأخشاب حطبًا للوقود أيام كان لا يوجد بديل عن الحطب.

وعندما أشرقت شمس نهضتنا التعليمية الحاضرة في العهد السعودي الزاهر سارع الكثير من شباب هذه القرى إلى الالتحاق بركب التعليم، وواصل البعض تعليمهم إلى أن حصلوا على مؤهلات عليا كالدكتوراه والماجستير، وهم يعملون حاليًّا في وظائف حكومية مرموقة. وخاصة في مجال التدريس على اختلاف مراحله. والبعض من الشباب التحق بالسلك العسكري. وبعضهم يعمل في القطاع الخاص. والبعض الآخر اشتغل بالتجارة وغير ذلك من الحرف.

ولا يفوتني أن أشيد بالنهضة العمرانية الكبيرة التي نعيشها اليوم ومالها من دور في استيعاب الكثير من الأيدي العاملة من سكان هذه القرى، فقد اشتغل الكثير منهم في مجال البناء. فمنهم العمال، ومنهم المقاولون على بناء العمارات، بعد أن اكتسبوا خبرة في تنفيذ مخططات البناء، كالعمارات ذات الطابقين والطوابق الثلاث. أما الذين فاتهم ركب التعليم أو تخلفوا عنه فلا يزالون يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي، والبعض يمارس البيع والشراء وغير ذلك من الحرف.

●●●

الفصل الرابع

صبيا في بداية العهد السعودي

عاش أهل صبيا ظروفًا أمنية قاسية، يسودها الخوف والقلق. وكان المواطن في صبيا يعيش تحت وطأة هذه الظروف الأمنية القاسية، إضافة إلى وطأة ظرف آخر هو الظرف المادي الصعب الذي لا يساعده على تحقيق طموحاته وتقدمه، نحو ما ينشده لنفسه ولأسرته من عيش كريم في ظلال الأمن والطمأنينة.

وحين أصبحت صبيا ومنطقة جازان بأسرها جزءًا من المملكة العربية السعودية التي وحدّها صاحب الجلالة الملك ـ المغفور له ـ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ـ طيب الله ثراه، وتغمده برحمته الواسعة ـ وذلك في عام ١٣٥١هـ، شعر المواطن في صبيا وغيرها من مدن المنطقة بأن تباشير آماله بدأت تلوح في سماء المنطقة كلها. فأهل صبيا يعرفون المندوبين السعوديين الذين وصلوا إلى صبيا في عهد الحسن الإدريسي، فكانوا يشعرون بالارتياح نحوهم، لما يتمتعون به من حسن السيرة والسلوك، وحبهم للأمن وحرصهم عليه، كما أن أهل صبيا كانوا قد سمعوا الكثير عن الملك عبدالعزيز، وعن سيرته الحسنة وتقواه، وعن حكمه العادل في نجد والحجاز، وحبه الشديد لمواطنيه وتفانيه في توطيد الأمن والاستقرار، وتحكيم شرع الله في كل الأحوال. وفي جميع المناطق الخاضعة لحكمه العادل، فاستبشروا خيرًا بالعهد السعودي. وتحقق في المنطقة ما كانوا يسمعونه عن حكم الملك المؤمن الراحل عبدالعزيز آل سعود، مؤسس أول وحدة في التاريخ الحديث.

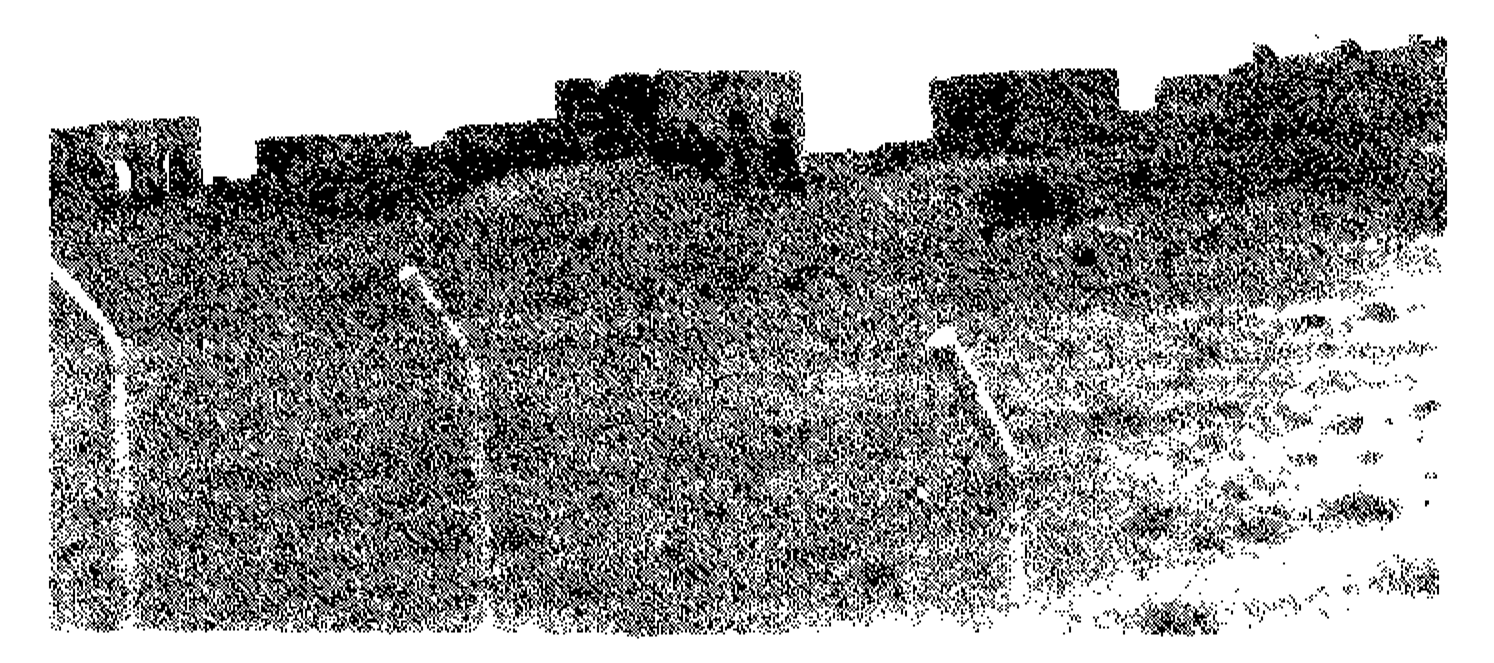
وكـان الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ قد علم من مندوبيه في المنطقة عن الحالة الأمنية السيئة التي كان يعانيها المواطن في صبيا وفي غير صبيا من مدن المنطقة، فكان

همه الأول وشغله الشاغل هو توطيد الأمن والاستقرار في ربوع المنطقة، وهذا ما حدث فعلاً فقد أصدر أوامره الكريمة بتعيين الأمراء والقضاة الشرعيين في مدن المنطقة. ومن ضمنها صبيا، وكان أول أمير لصبيا هو (قطنان)، وأول قاض لها هو العلامة الشيخ (حسن بن أحمد عاكش الضمدي)، كما تم تعيين مجموعة من الجنود مع كل أمير للمحافظة على الأمن، وخدمة قضايا المواطنين، فأقيمت حدود الله دون هوادة، فقتل القاتل تنفيذًا لحكم الشرع فيه، وقطعت يد السارق المحكوم عليه شرعًا بذلك، وعوقب المسيء الذي لم ينته عن إساءته، ولم ينفع فيه النصح والإرشاد. واستخدم المسئولون في صبيا. الحزم في وقته وفي موضعه، فأدرك أصحاب القلوب المريضة من دعاة الشر وهواة الاعتداء على الغير أن لا مجال لهم في هذا العهد العادل، وأن عليهم أن يفهموا هذه الحقيقة ويعوها، فأقلعوا عن سلوكهم المشين. ومن حاول منهم العودة إلى أيام الفوضى والعبث بأمن المواطنين وجد أمامه سيف الحق والعدالة لتقويمه. فساد الأمن ربوع المنطقة. واختفت النعرات القبلية والنزاعات العشائرية. وأصبح الجميع أمام الحق والعدل إخوة تظلهم خيمة الأمن التي يسهر على حمايتها رجال عبدالعزيز.

وفي الوقت نفسه قام المسئولون في صبيا بالتعاون مع العقلاء من مشايخ صبيا وأعيانها بمحاربة العادات السيئة والضارة والخرافات التي كان يتمسك بها بعض الجهلاء.

وقد استخدمت لتحقيق الأمن وتوطيد دعائمه كل وسائل الإقناع، من نصح وتوجيه وإرشاد حينًا، وبالوعيد أحيانًا بإنزال العقوبة الشديدة على كل من يعمل عملاً فيه مخالفة للكتاب والسنة.

وبعد أن توطد الأمن والاستقرار، وشعر المواطن بأنه يعيش فعلاً في ظل الأمن الوارف الذي كان يفتقده. انطلق للعمل في المجال الذي يحسنه، ويدر عليه الكسب الحلال. فازدهرت الحركة التجارية، وتحسن الوضع المادي بعض الشيء. كما انتعشت الحياة الزراعية، واتسعت رقعتها باستصلاح مزيد من الأراضي الزراعية، وكثر الإنتاج



صورة لآثار بيوت الأدارسة في صبيا الجديدة



صورة لآثار في صبيا الجديدة وقد ظهر فيه الفن الزخرفي واضحا

من حبوب الذرة والدخن، فصارت صبيا تصدر الفائض عن حاجتها إلى مناطق المملكة الأخرى.

كما كثرت الأعلاف فتوافرت الثروة الحيوانية، ولما كان وضع الدولة المادي في ذلك الوقت لا يسمح لها بمباشرة العمل في افتتاح المدارس والمعاهد وتزويدها بالمدرسين والمقررات التعليمية، كان المواطنون في صبيا يعتمدون في تعليم أولادهم على «الكتاتيب» المنتشرة في صبيا.

وفي عام ١٣٥٧هـ، افتتحت الدولة أول مدرسة ابتدائية في صبيا أنشئت في مبان من الخشب والقش يطلق عليها (عُرُش)، وكان أول مدير لهذه المدرسة هو الأستاذ الفاضل السيد (إبراهيم العقيل) يعاونه في التدريس الأستاذان الفاضلان محمد مدني زكري - يرحمه الله - وصدّيق يوسف شَعْبَطْ - أمدّ الله في حياته -.

وقد سارع أبناء صبيا للالتحاق بهذه المدرسة فور افتتاحها بصورة جسّدت رغبتهم الصادقة في طلب العلم.

هكذا كان وضع صبيا في بداية العهد السعودي، وسأتحدث - إن شاء الله - عن صبيا في حاضرها المشرق في الموضع الخاص بها في هذا البحث.

●●●

الفصل الخامس

الآثار في صبيا

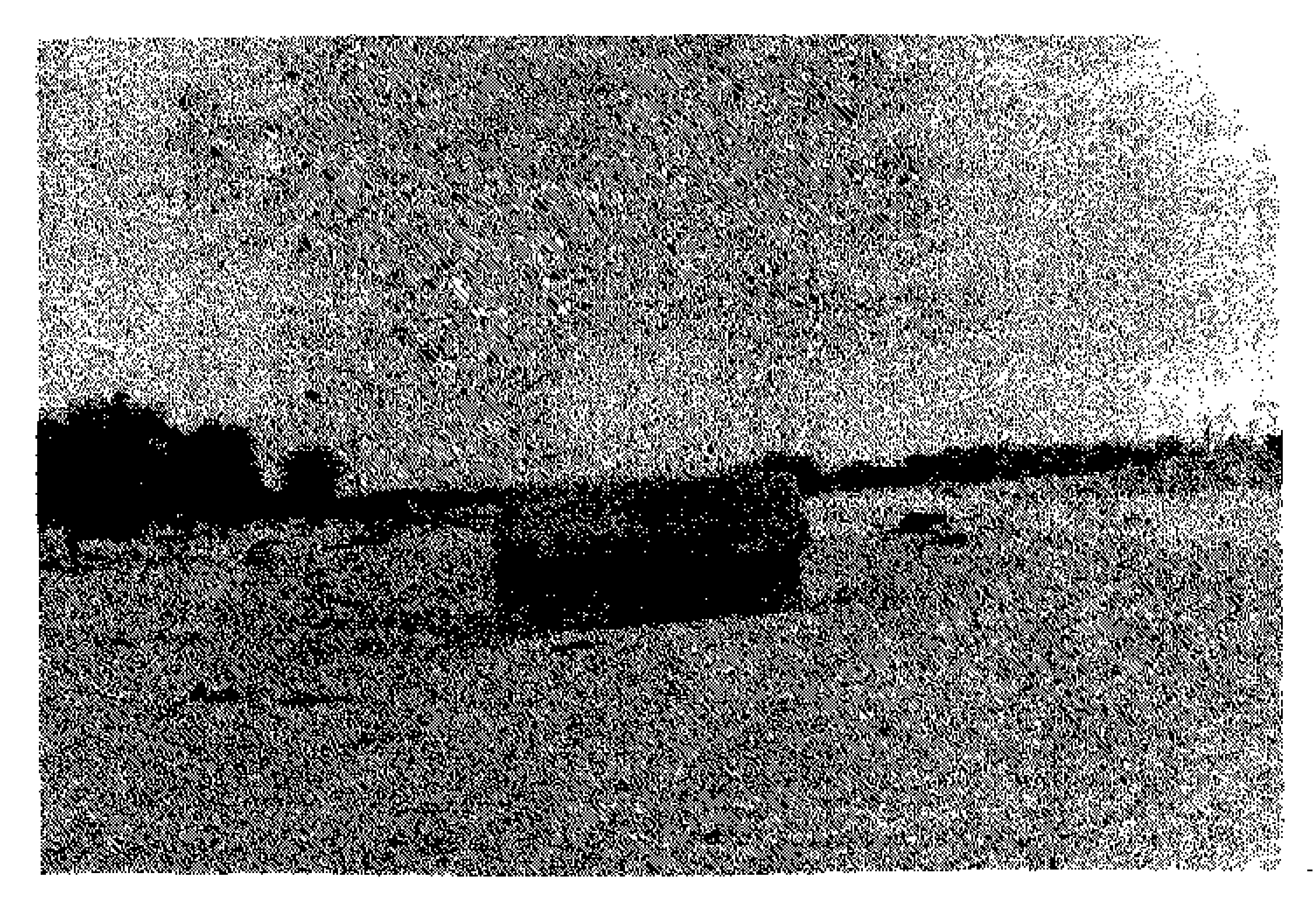
* آثار مدينة عثر

كنت أوّد أن أتحدث عن آثار صبيا ابتداءً من موقعها الأول المسمى (أَبُو دَنْقُور) والتقطُ صورًا لآثار ذلك الموقع القديم، ولكن للأسف الشديد لم أجد من الآثار ما يمكن التقاط صورٍ له. وكل ما هو موجود على الموقع عبارة عن بعض قطع صغيرة من الأواني الفخارية التي سبق لها أن تكسرت وتناثرت على الموقع هنا وهناك. بل إنّ بعض هذه القطع مطمورة في التراب. لذلك صرفت النظر عن آثار هذا الموقع.

أما بالنسبة لآثار (صبيا القديمة)، فلا توجد بها آثارٌ سوى البئر التي يطلق عليها (البئر المِنْسِكِي)، وهي أقدم آثار صبيا وموقعها في جنوب المدينة في مسيل الوادي. وقد سمّيت باسم مؤسسها «المنسكي». ولقد بذلت جهدي لمعرفة الاسم الكامل لفاعل الخير هذا فلم أتمكن من معرفته. وكل ما يعرف عنه أنه «المنسكي». وهذه البئر موضحة في الصورة رقم[1].

وقد كانت توجد قلعة كبيرة في مدينة (صبيا القديمة)، وهي من مخلفات (الأتراك). ولكن هذه القلعة قد هدمت وأقيم فوق موقعها مدرسة ابتدائية للبنين. وهي ما يطلق عليها اليوم مدرسة (ابن خلدون).

أما قصر (الأدارسة) في (صبيا القديمة)، فقد هُدم - أيضًا - من قبل وزارة الداخلية، وأقيم فوق موقعه قصر إمارة صبيا. والآثار الموجودة حاليًا هي آثار قصر الإمارة.



صورة للبئر المنسكي وهي جنوب مدينة صبيا القديمة وأقدم آثارها

أما مدينة (صبيا الجديدة) التي اختطها السيد محمد علي الإدريسي في عام ١٣٣٨هـ، فتوجد بها بعض الآثار، ولكن عمر هذه الآثار قصيرٌ لِقِصَرِ عمر المدينة نفسها، والصور التي تحمل الأرقام من (٢ إلى ٨) تمثل أطلال مدينة (صبيا الجديدة).

آثار مدينة عثر:

قبل أن أتحدث عن آثار مدينة (عَثّر) في الموقع الذي أعتقد أنه هو الموقع الحقيقي لهذه المدينة التاريخية، أرى من المفيد أن استعرض ما قاله بعض المؤرخين والشعراء عن موقع مدينة (عَثّر)، لإعطاء القاريء الكريم صورة واضحة عن هذا الموقع.

قال «البكري»، في كتابه (معجم ما استعجم)[1]: إن عَثّر ـ بفتح أوله وتشديد

---

(١) جـ«٣» ص«٩٢١».



صورة لآثار في صبيا الجديدة وقد ظهرت فيها بئر صبيا الجديدة

ثانيه بعده راءٌ مهملة ـ هو وادٍ من أودية العقيق. وقال «أبو سعيد»: عَثَّر ـ جبل بتبالة ويقال: إنه من ديار مذحج. وقيل (عَثْر) بفتح أوله وإسكان ثانيه، موضع تلقاء قُباء ـ كما ورد في بيت الشاعر (الأحوص):

أَلَمَّــتْ بِعَــثْــرٍ من قُبـاءٍ تزورنــا　　　وأنـىَّ قُبَـاءٌ للمــزاور من عَثْــرِ

وقال «ياقوت الحموي»، في كتابه، (معجم البلدان)[1]: عَثَّر بفتح أوّله وتشديد ثانيه وآخره راء مهملة. وقال «أبو منصور»: إن عثر هو مَأْسَدة. يعني كثيرة الأسود.

وقال الشاعر: «زهير بن أبي سلمى» وهو شاعر جاهلي:

ليث بِعَــثَّــر يصــطاد الــرجــال إذا　　　ما اللَّيْثُ كذَّبَ عن أقــرانــه صدقــا

---

(١) جـ«٤» ص«٨».



صورة آثار في موقع مدينة عثر وقد ظهر في الصورة مبنى حفر السواحل



صورة لآثار في موقع مدينة عثر

وقال «الهمداني»، في كتابه، (صفة جزيرة العرب)[1]: ثم بيش وساحله عثر، وهو سوق عظيم، ثم مخلاف عثر وهو لكنانة وخولان والأزد.

وقال «عُمارة»: (عثر على مسيرة سبعة أيام في عرض يومين، وهي من (الشَّرْجَة) إلى (حَلي)، وقال: (عروة بن الورد):

يَتَـفَّـانيَ الأعـداءُ إمَّـا إلى دمٍ	وإمَّـا عراص السـاعـدين مصـدَّرا
يظل الإبـاء ساقـطًا فوق متـنـه	له العـدوة القصوى إذا القِرْن أصحرا
كأن خوات الـرعـد رِزُّ زئـيره	من الـلاَّءِ يسكـنُّ الغـريف بعثـرا

وقال «الهمداني»، في كتابه، (صفة جزيرة العرب)[2]: وبالساعد أشراف حكم بنو عبدالجد، ثم الهجر، وفيه ضمد وجيزان، وفي بلد حَكَمْ قرى كثيرة، يقال لها: (المخارف) وصبيا، ثم بيش وساحله عثر، وهو سوق عظيم، وقد تُثَقّلهُ العرب فيقولون (عَثّر) وإلى حازَّة[3] عثر تُنسب الأسود التي يقال لها: أُسود عثر وأُسود (عِتْوَد). وهي قرية من بواديها. ويقول الشاعر: (ابن مقبل) واسمه (تميم بن أبي مقبل من بني عامر بن صعصعة):

جلوسًـا بها الـشـم الـعـجـاف كأنها	أُسـود بترج أو أُسـود بعِـتْـود

وقال «الهمداني»، في موضع آخر من كتابه، (صفة جزيرة العرب)[4]، وهو يذكر مدن تهامة وقراها وأوديتها مبتدئًا ببلد حَكَمْ: (ثم بَلَدُ حَكَمْ وهي خمسة أيام، وفيه أودية بلد همدان وخولان، وملوكهم من آل عبدالجد، وفيه مدن مثل الهجر، والخصوف،

(١) ص(٥٤).
(٢) ص(٧٦) و(٧٧).
(٣) أرض بين الجبل والسهل.
(٤) ص(٢٥٨) و(٢٥٩).

والساعد، والسقيفتين، والشَّرجة، والحردة، وعطنة، ساحلاً المهجم والكدراء، وبلد حكم قرى كثيرة، مثل: العدابة، والركوب والمخارف والقليق، وبها وادي حَرَضٌ، وجيزان، وجذلان، ووادي الحيد، ووادي تَعْشَر، ووادي جحفان، ووادي لِيَه، ووادي خُلَبْ، ووادي زايرة، ووادي شَايَةْ وضمد وجيزان وصبيا، وملوكهم من آل عبدالجد، ثم مخلاف عثر. و(عثر) ساحل جليل ومدينته بيش، وحصبته أبراق، وفيه من الأودية: الأمان، ووادي بيش، ووادي عِتوَد، ووادي بِيضْ، ووادي ريم).

هذا ما قيل عن عثر. وفي اعتقادي أنه لا تعارض بين ما قيل عن عثر وبين حقيقة وجود آثار مدينة عثر، مدار البحث في موقعها الحالي إلى الغرب من قرية (قوز الجعافرة).

فما قاله، «البكري»: أن «عثر» من أودية العقيق، وما قاله «أبو سعيد» إنه جبل بتبالة، أو إنه من ديار مذحج، وما قاله الشاعر: «الأحوص»: إن «عثر» في جهة قباء يدلنا على وجود مواضع تتطابق أسماؤها وتختلف جهاتها.

فمثلاً إلى الشرق من مدينة صبيا بنحو ثلاثة وخمسين كيلومترًا، توجد بلدة (عيْبَان)، وهي قاعدة قبيلة (بني الغازي). ويوجد في اليمن جبل (عيْبَان) المطل على (صنعاء).. وإلى الشمال الغربي من مدينة صبيا بنحو خمسة عشر كيلومترًا توجد قرية (العَشَّة). وفي (ذمار) باليمن قرية اسمها (العَشَّة) - أيضًا - وإلى الشرق من صبيا بنحو ستة كيلومترات توجد قرية (الحُسَيْني). وفي الوقت نفسه توجد جنوب (بيت الفقيه) باليمن قرية (الحُسَيْني). وتوجد (العَارِضَة) إلى الشرق من مدينة (أبو عريش) بنحو أربعين كيلومترًا، كما توجد (العَارِضَة) من قرى (بعدان) باليمن.. وإلى الجنوب الغربي من صبيا توجد قرية (نجران). وفي المقابل توجد (نجران) في ديار يام المعروفة، وهنا جبل (فَيْفَاء) المعروف، وفي المقابل توجد مواضع تحمل هذا الاسم. ومنها[1]:

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي جـ(٤) ص(٢٨٥).

(فَيْفَاء الخُبار)، وهو موضع بالعقيق، و(فيفاء رشاد)، و(فيفاء خُريم)، و(فيفاء غزال) بمكة المكرمة حيث ينزل الناس منها إلى الأبطح، يقول الشاعر «كثير» في «فَيْفَاء رَشَاد»:

وقــد علمــت تلك المــطية أنــكــم ... متـى تسلكــوا «فيفــا رشــاد» تحردوا

وقال «كثير» في (فَيْفَاء غَزَال):

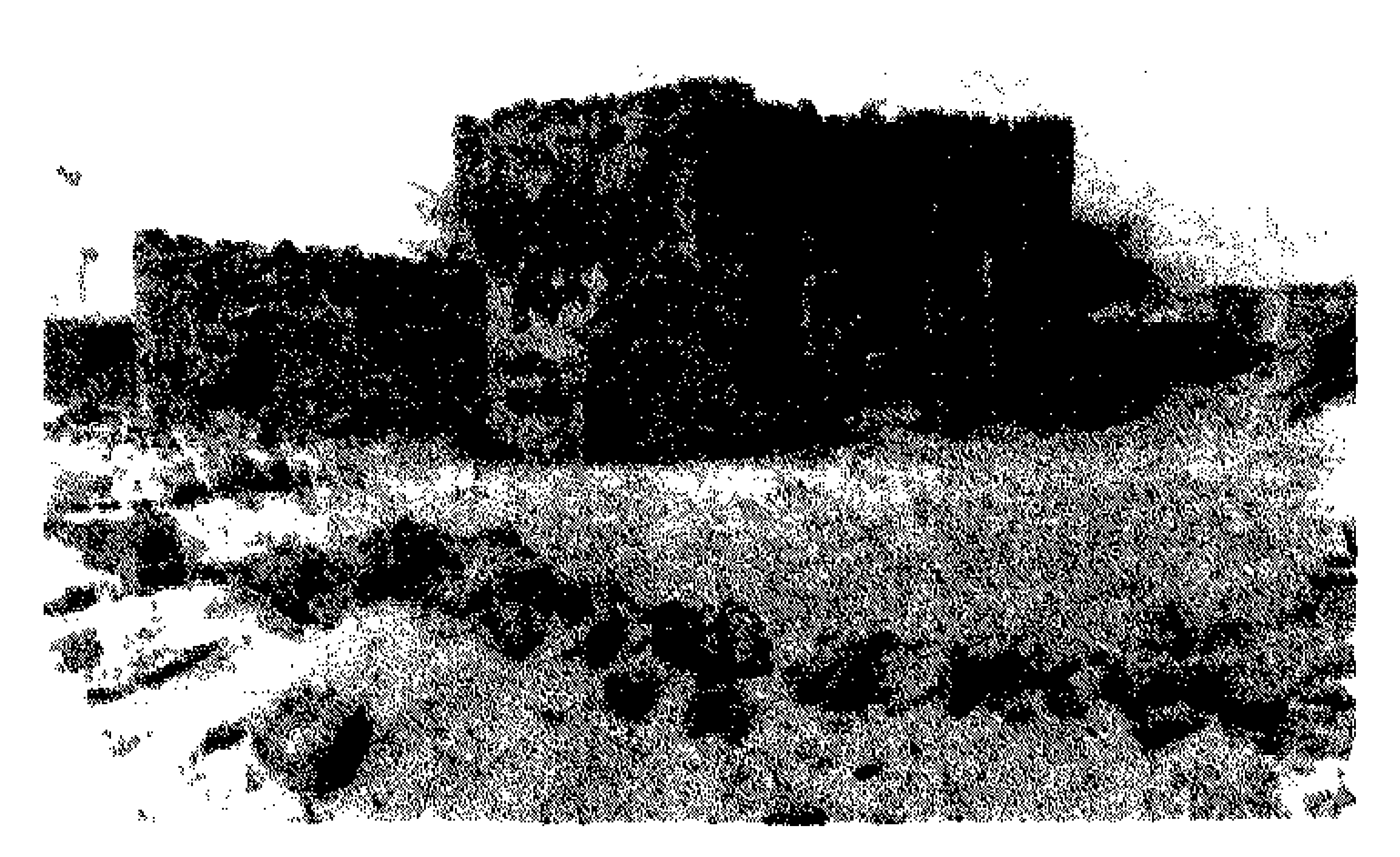
أنــاديك ماحــجّ الحـجيج وكـبّرت ... بفــيفــا غزال رفــقــة وأهَــلَّت
وكــانت لقــطع الـوصـل بيني وبينها ... كنــاذرةٍ نذرًا فأوفــت وحــلَّت
فقــلت لها يا عزُّ كل مصــيبــة ... إذا وُطِّـنَـتْ يومًــا لها الـنـفس ذلـت
ولم يلق إنــســان من الحــب منعــة ... تَعُــمُّ ولا عيـاء إلاَّ تجلت

وقال: «كثير»، في «فيفا خُزيم»:

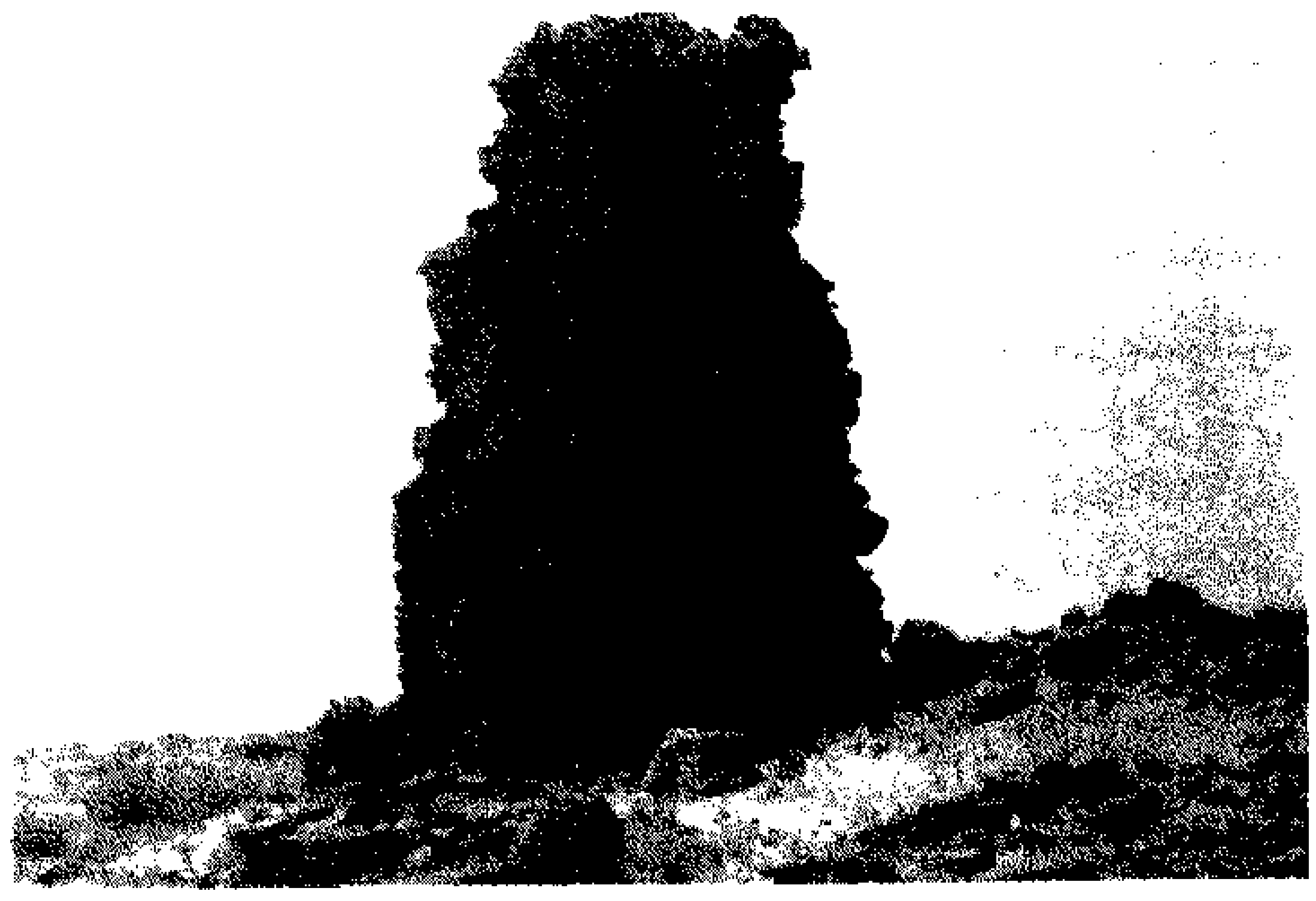
فاجـعـن هيْنًــا عاجــلاً وتــركـتـني ... «بــفـيفــا خزيم» واقــفًــا أتــلدّد
وبــين الــتراقــي والــلهــاة حرارة ... مكــان الــشـجي ما تطمئـن فتــبرد
فلم أر مثــل العــين ضَنّتْ بدمعهــا ... عليّ ولا مثـلي على الــدمــوع يُحسـد

والأمثلة على ذلك كثيرة:

أما (زهير بن أبي سلمى) و(أبو منصور) و(ياقوت الحموي). فلم يحددوا موقع «عثر»، وإذا ما نظرنا إلى ما قاله (الهمداني) في كتابه: (صفة جزيرة العرب) عن «بيش» وساحله «عثر»، وما ذكره عندما تحدث عن مدن وقرى وأودية تهامة، وجدنا أنه لا يدع مجالاً للشك في أن الآثار الموجودة إلى الغرب عن «قوز الجعافرة» هي آثار مدينة «عثر» التي اختطها (سليمان بن طَرَفْ الحكمي)، إبّان إمارته على مخلاف «عثر». فقد ذكر (الهمداني) بلد «حَكَمْ»، وما فيها من قرى مثل «العداية» و«الركوبة» و«المخارف» و«القليق»، وذكر من أوديتها «حَرَضْ» و«حَيْزَان» و«وادي تعشر» و«وادي جحفان» و«وادي ليه» و«وادي خُلَبْ» و(وادي سمرة) و«وادي شابة» و «ضمد» و«جازان» و«صبيا».



صورة لآثار بعض البيوت في صبيا الجديدة



صورة لآثار بعض المنازل في صبيا الجديدة



صورة لآثار بعض البيوت في صبيا الجديدة



صورة لآثار بعض البيوت في صبيا الجديدة

وصبيا هي الحد الشمالي لما كان يطلق عليه مخلاف (حَكَمْ)، أو بلد (حَكَمْ)، كما أسماه الهمداني، فبلد حَكَمْ يمتد من وادي مور باليمن[1] جنوبًا إلى صبيا شمالاً.

وهذه الأودية لا يزال بعضها يحمل اسمه السابق، وأغلبها بين مدينة (سامطة) السعودية وصبيا، كوادي (تعشر)، و(وادي جحفان) و(وادي ليه) و(وادي خُلَبْ) و(ضمد) و(جازان) و(وادي صبيا)، والبعض الآخر ربما يُعْرَف الآن بغير اسمه السابق كوادي (زايرة) و(وادي شايه). وهناك أودية لم يذكرها (الهمداني)، كوادي (الخُمْس) و(وادي مَقَابْ) و(وادي بلاج)، وهي تدخل في نطاق ما كان يطلق عليه (بلد حَكَم).

ثم واصل (الهمداني)، في ذكر أسماء الأودية التي تقع إلى الشمال من صبيا فذكر (وادي الأمان)، وهذا الوادي لا يعرف الآن بهذا الاسم، ولعله أحد الأودية الثلاثة التي لم يرد ذكرها في كتاب: (الهمداني). وتقع إلى الشمال من صبيا، وهي: وادي (نخلان) ووادي (وساع، وشهدان) المدمجان جنوب قرية (أبو القعايد) و(وادي قَرَى)، ثم ذكر وادي (بَيْش) و(وادي عِتْوَدْ)، و(وادي بيضْ)، و(وادي ريم). وهذه الأودية لا تزال تعرف بهذه الأسماء إلى يومنا هذا، وتدخل في نطاق ما كان يطلق عليه (مخلاف عثر)[2] الذي يمتد شمال (صبيا) إلى (حَمَضَة). و(حَمَضَة) وادٍ بالقحمة. أما ما ورد في شعر «عروة بن الورد» من ذكرٍ لموضع (الغريف) فإنه ربما يدعم اعتقادي في أنه إنما قصد (عثر) الذي نحن بصدد الآثار الموجودة فيه. لأن اسم (الغريف) يطلق على أكثر من موضع هنا في المنطقة، ففي قرية (الجَهْو) من قرى وادي (ضَمَدْ) موضع اسمه (الغريف)، وإلى الشرق من (جبل عكوة) الجنوبي موضع يطلق عليه (الغريف) وفي (الحَضَنْ) جهة (بَيْشْ) موضع اسمه (الغريف)، وإلى الغرب من قرية (محلة قاع بن مَعْد) موضع اسمه (الغريف) ويقع بين (حلة الرُّقيعيَة) و(المحلة).

---

(١) من كتاب المخلاف السليماني للعقيلي جـ(١) ص(٦٧).
(٢) من كتاب المخلاف السليماني للعقيلي جـ(١) ص(٦٨).

وقد اجتاحت السيول هذا الموضع حتى صيَّرته واديًا. وقد أشار الشاعر (القاسم بن هتيمل) إلى هذا الموضع في قصيدته التي مطلعها:

ما اليوم آخر ما شكوت ولا غد ... شكواي لوعة حرّها لا يبرد

يقول فيها عن موضع (الغريف):

فنفيت عنها الخالعين وقد خلا ... منه نهازة[1] والعريفُ وعتودُ[2]

ويقول ابن هتيمل في قصيدة أخرى يرثي فيها القاسم بن علي الذروي جاء في مطلعها:

أركبان رسلاتٍ خِفَافٌ خُفَافُها ... طوال مثانيها دوام أنوفها

ويقول فيها:

وهم أعدموا أرض السَّحَانِ (فليته)[3] ... إلى أن خلا غَوَّانُها[4] وغريقها

أما ما ورد في قول (عمارة) فهو تحديد واضح لما كان يطلق عليه (المخلاف السليماني)، وهو من (الشرَّجَة) جنوبًا إلى (حَلي) شمالاً، وفي نطاق هذا المخلاف يدخل ما كان يطلق عليه (مخلاف عثر).

---

(١) نهازة: قبيلة من قبائل صبيا، تفرقت في قرى صبيا، ومن هذه القرى: المحلة، والباحر والهدوي، والجهالة، وبقي البعض في صبيا.

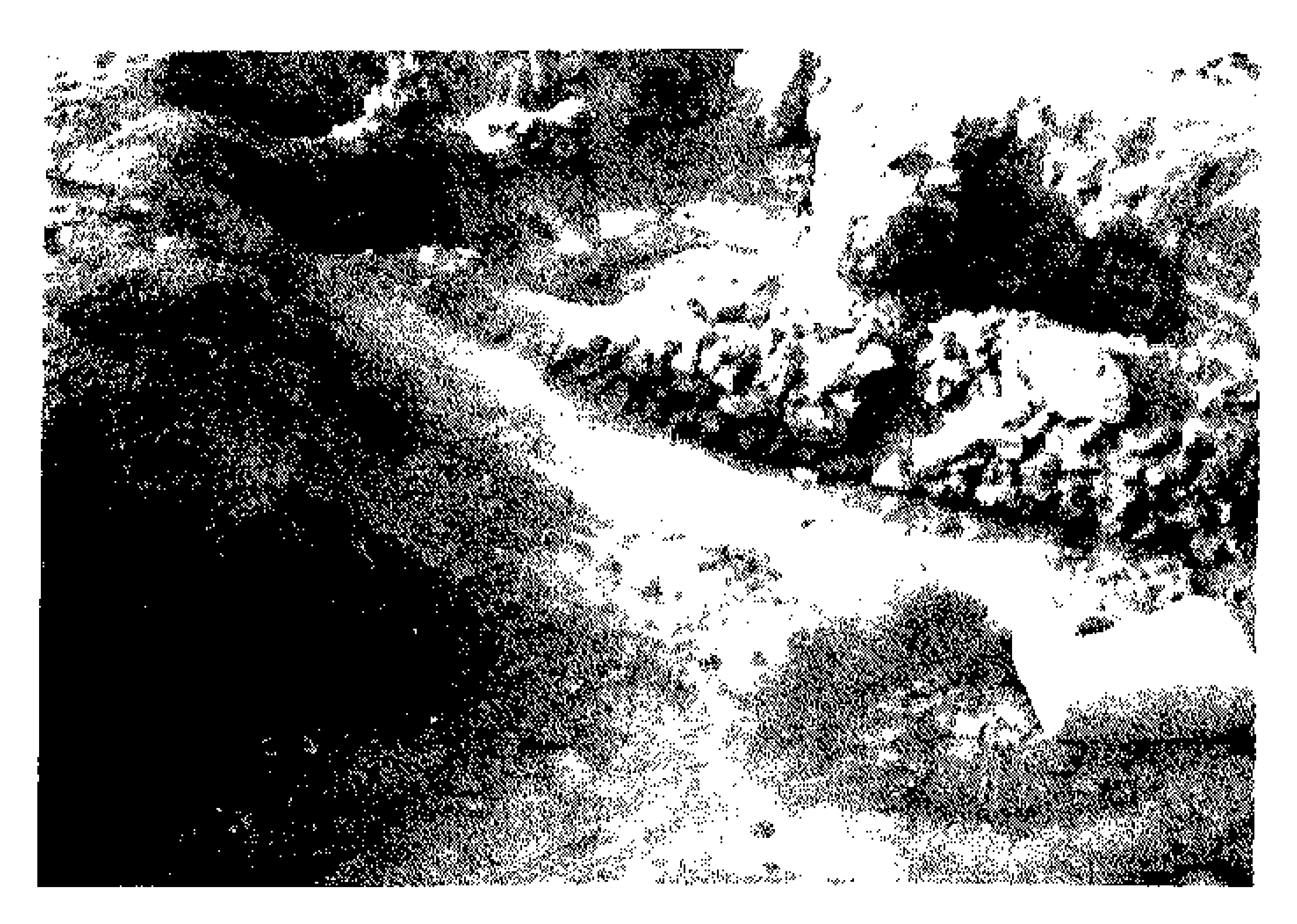
(٢) وادٍ يقع بين بيش والدرب.

(٣) لا أدري ماذا يقصد الشاعر بـ (فليتة) اللهم إلا إذا كان يقصد (فليتة بن الحسن بن يوسف بن نعمة بن علي بن داود بن عبدالله بن موسى الجون). أحد أجداد السادة النعامية أهل (العالية) و(الدهناء). والسحان صفة لفليتة، فقدم الصفة على الموصوف لضرورة الوزن فربما يكون ذلك.

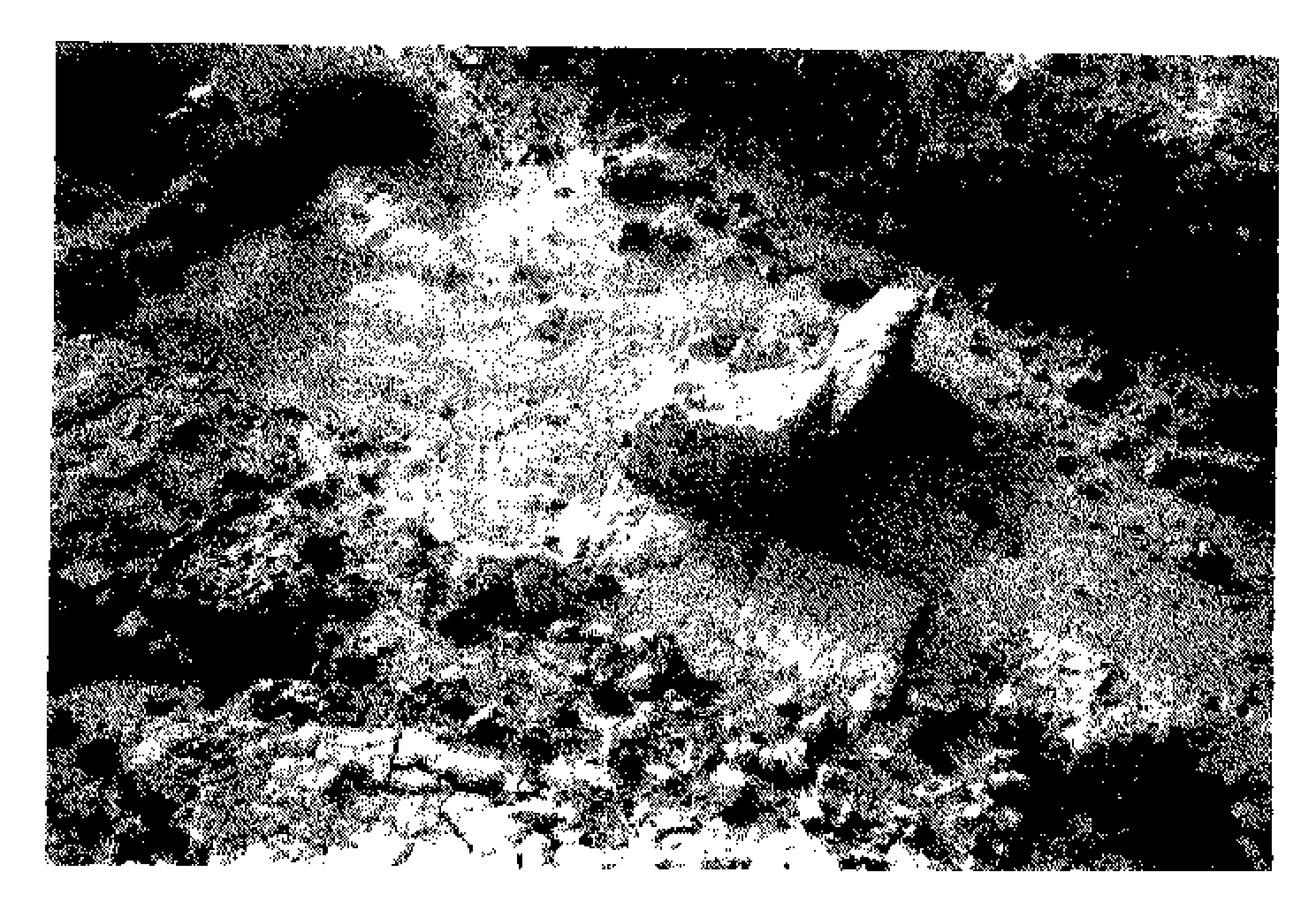
(٤) غوان: وادٍ صغير جنوب المحلة، وعلى مقربة من الغريف، ويصب في وادي بيش.

وانطلاقًا من هذه الحقيقة: حقيقة أن الآثار الموجودة إلى الغرب من قرية (قوزالجعافرة) والتي تبعد عنها بنحو كيلومتر ونصف الكيلومتر، هي آثار مدينة (عثر) التي أسسها (سليمان بن طرف الحكمي) في عام ٣٧٣هـ، إبّان إمارته على المخلاف الذي أطلق عليه (المخلاف السليماني).

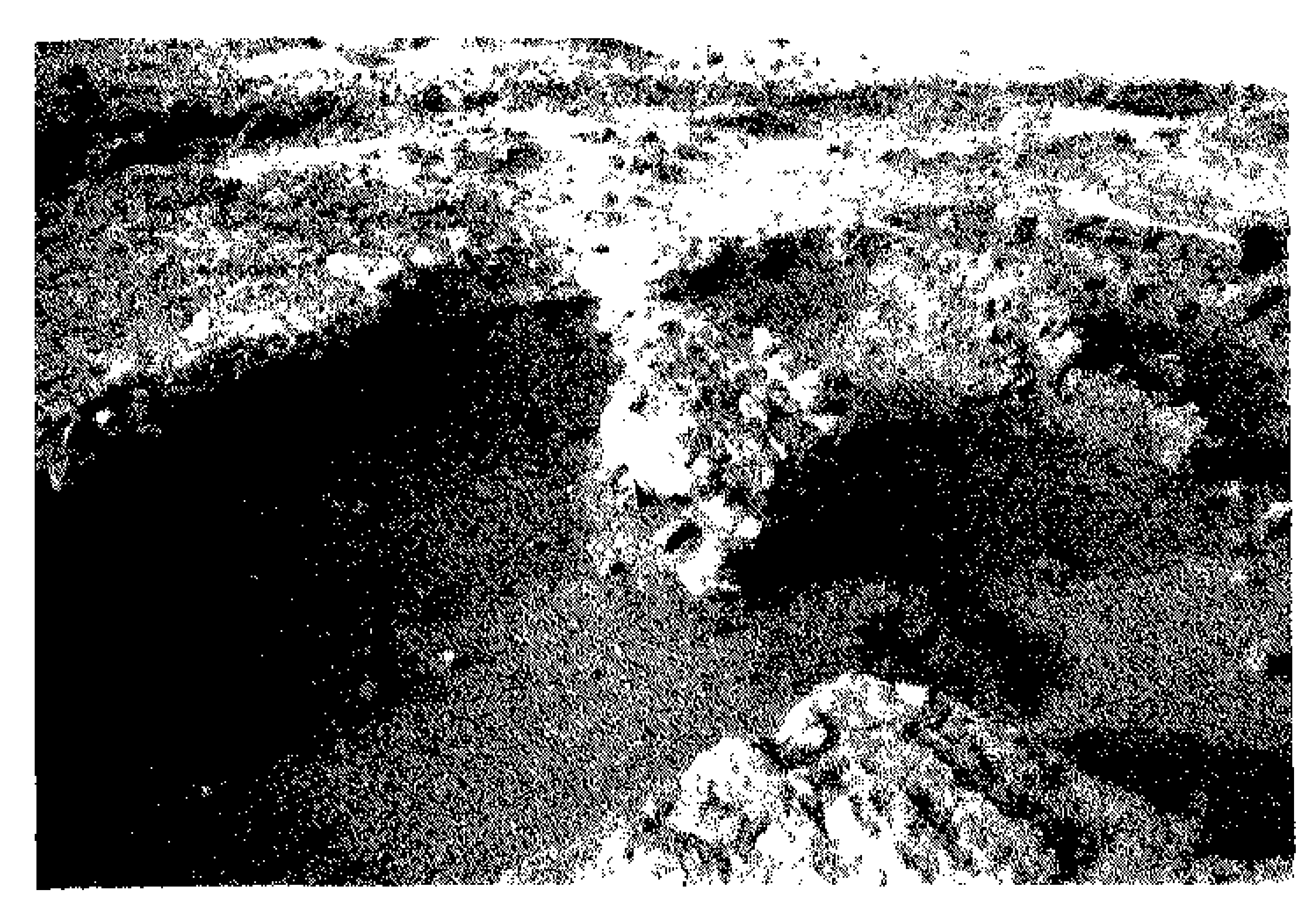
واستنادًا إلى ما سمعته من كبار السن من قبائل الجعافرة المجاورين للموقع الذين يؤكدون أن هذه الآثار هي آثار مدينة (عثر) التي أسسها (سليمان الحكمي) قبل ألف سنة على حدّ قولهم، وأنهم قد سمعوا من أسلافهم هذه الحقيقة، فقد ذهبت إلى موضع الآثار والذي يبعد عن مدينة صبيا غربًا بنحو ثلاثة وعشرين كيلومترًا، لأقف عن كثب على أطلاله، وقد اتضح لي من وقوفي المباشر على الموقع أن أطلاله ليست بارزة للعيان لأنها مستوية مع الأرض، ومن الصعب على المرء أن يراها إلا إذا وقف عليها وقوفًا مباشرًا، وتتمثل أطلال مدينة (عثر) في بعض قوالب من الآجرّ الأحمر، وحجارة في لون اللَّبِنْ (البلوك) المستعمل حاليًا، بالإضافة إلى بعض الأواني الفخارية المكسرة. كما توجد آثارٌ يعتقد أنها أساسات لحوائط بيوت، وجميع هذه الآثار تقع في الجزء الجنوبي من الموقع في مواجهة مبنى خفر السواحل الموجود هناك من الجهة الغربية، ومبنى خفر السواحل نفسه ـ كما يظهر ـ يقع في جزءٍ من موقع مدينة (عثر). أما الجزء الشمالي من الموقع فلا تبدو عليه آثار غير كثبانٍ من الرمال تعلوها الحشائش، وفي اعتقادي أن هذا الجزء من الموقع لا يخلو من الآثار المطمورة تحت الرمال، ولو قامت مصلحة الآثار بحفريات في المنطقة لبرزت آثار كثيرة، وموقع مدينة (عثر) محاطٌ بالأسلاك من جميع جهاته والصور التالية تمثل الآثار الموجودة فيه، وقد أخذت من أماكن مختلفة من الموقع.



صورة لآثار في موقع مدينة عثر



صورة لآثار في موقع مدينة عثر



صورة لآثار في موقع مدينة عثر

الفصل السادس

رواد الحركة الفكرية

* العلماء
* الشعراء

إن مدينة صبيا كغيرها من مدن المملكة لها نصيب وافر في مجال الحركة الفكرية وروّادها وقد نشأت الحركة الفكرية في صبيا منذ زمن طويل.

والعلماء الذين أوردت أسماءهم في الفصل الخاص بهم هم في الواقع رواد حركة فكرية إسلامية في أوقاتهم التي عاشوا فيها، وقد أناروا لأجيالهم طريق مستقبلهم، بما قدموا لهم من عطاء نافع، ولقد تعدّى بعضهم نفع جيله إلى نفع أجيال تلت إلى يومنا هذا، بما ألف من مؤلفات قيمة كالعالمين الجليلين (أبوالحسن صالح بن صديق النمازي) المتوفى عام ٩٦٤هـ، و(عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلي) المتوفي عام ١٢٤٨هـ، فقد ألّف هذان العالمان مؤلفات حوت علومًا شتى في التاريخ والحديث والسنة، والعقيدة والأنساب، وغير ذلك، فمن مؤلفات الشيخ النمازي ما يلي:

(١) السلاف في تأريخ صبيا والمخلاف.
(٢) شرح على ألفية ابن مالك.
(٣) منظومة أسماها (الأنوار الساطعة)، وعليها شرح مفيد جمع فيه عقائد أهل السنة.

أما الشيخ (عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلي) فمن مؤلفاته ما يلي:
(١) نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود. (وقد قام بطباعته وتحقيقه الأستاذ/ محمد بن أحمد عيسى العقيلي) أخيراً.

(٢) الالتفات في معرفة رجال الأمهات.
(٣) كتاب تيسير اليسرى بشرح المجتبي من السنن الكبرى.
(٤) الأفاويق بمعرفة رجال التعاليق.
(٥) كتاب الأنساب.
(٦) كتاب في تراجم أعيان القرن الثالث عشر:

وللشيخ محمد حيدر القبُّي مخطوط في الأنساب أسماه (الجواهر اللطاف). وأما شعراء الفصحى في الماضي، والذين سبق أن أوضحت أسماءهم في الفصل الخاص بالشعراء كعمارة اليمني، والجراح بن شاجر الذروي، فإن هذين الشاعرين كانا بحق رائدين من رواد الحركة الفكرية في صبيا فقد أعطيا من إنتاجهما الأدبي ما يستحق تدوينه في دواوين الأدب المتداولة إلى يومنا هذا، ولا تزال أسماؤهم خالدة ومكانتهم الأدبية مرموقة، ولقد كان (عمارة اليمني) شاعرًا ومؤرخًا، وله بعض المؤلفات منها:

(١) كتاب المفيد.
(٢) تاريخ اليمن، ألفه للقاضي الفاضل.
(٣) النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، ألفه حينما كان في مصر.

وفي عصر النهضة التعليمية الشاملة التي قامت في المملكة والتي تحظى برعاية كاملة من الدولة والتي تطور التعليم فيها فشمل كل مراحله من الابتدائي إلى التعليم العالي، إذ أصبحت هذه البلاد تضم بين ربوعها سبع جامعات متنوعة المعارف.

تدعمت الحركة الفكرية في صبيا بمزيد من الرواد حيث برز شباب نابهون من شباب صبيا، وبعض قراها ممن شمروا عن سواعد الجد، وسمت هممهم، فواصلوا تحصيلهم العلمي حتى وصلوا إلى مراحل متقدمة من التعليم، وحصل بعضهم على مؤهل (الدكتوراه) و(الماجستير) ولست هنا بصدد حصرهم وذكر أسمائهم لأني لو أردت ذلك لما استطعت، فقد يغيب عني الكثير من أسمائهم، لذلك فإني سأكتفي بالتنويه

إلى أن كثيراً من شباب صبيا وبعض قراها ممن نالوا مؤهلات عليا هم في الواقع رواد حركـة فكرية وثقافية، وهـم امتداد لمن سبقهـم من الرواد بما يقدمونه من عطاء نافع لجيلهم الحاضر والأجيال القادمة، فهم يعملون حاليًّا في كل صرح من صروح العلم في الجامعات والكليات، وفي المعاهد والمدارس وأي عطاء أروع وأنفع ممن يعلم الجيل الصاعد فينتقل عطاؤه من جيله إلى أجيال قادمة، وهذا من أسمى الحركات الفكرية.

والأستاذ العقيلي، وهو من الشعراء البارزين على الساحة الأدبية، هو في الواقع رائد من رواد الحركة الفكرية، وله عدة مؤلفات أذكر منها:

(١) تاريخ المخلاف السليماني.
(٢) المعجم الجغرافي.
(٣) الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
(٤) أضواء على الأدب والأدباء.
(٥) من آداب الجزيرة العربية.

وغيرها كثير، ومؤلفاته موجودة في كثير من المكتبات السعودية.

العلماء

مدينة صبيا ليست بأقل حظًّا من غيرها من المدن من حيث وجود العلماء بها، ففي الماضي كانت تزخر بالعلماء الأفاضل. وقد برز فوق ثراها وفي بعض القرى التابعة لها علماء كانوا روادًا للحركة الإسلامية، ومن هؤلاء العلماء من سمحت لهم ظروفهم بالتأليف فألف الكتب المفيدة التي أنارت لأجيالهم وأجيال تلتها طريق حياتهم العلمية والفكرية وسأتحدث ـ إن شاء الله ـ عن هذه المؤلفات وأصحابها في الفصل الخاص بروّاد الحركة الفكرية في صبيا.

وفي اعتقادي فإن أصحاب الفضيلة العلماء الذين سأورد أسماءهم هنا ما هم إلا قليل ممن احتفظ التاريخ بأسمائهم فاستطعنا معرفتهم ولعله أهمل الكثير.

ومن هؤلاء الذين مضوا قبل العهد السعودي ـ يرحمهم الله ـ العلماء التالية أسماؤهم :

- العلاّمة : الزين بن الأمين شافع : من صبيا .
- العلاّمة : أحمد علم الدين شافع : من صبيا .
- العلاّمة : عبدالعليم شافع : من صبيا .
- العلاّمة : أبوالحسن صالح بن صديق النّمازي : من صبيا .
- العلاّمة : محسن بن أحمد السُّبْعِي : من قرية الحسيني التابعة لصبيا، عاش في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وتولى القضاء في أكثر من جهة .
- العلاّمة : محمد بن أحمد السبيعي : من قرية الحسيني، تولى القضاء في صبيا عام ١٢٧٦هـ.
- العلاّمة : محمد بن الحسن النعمي : توفي عام ٩٩٩هـ.
- العلاّمة : الحسن بن محمد حسن النعمي : توفي عام ١٠١٩هـ.
- العلاّمة : ناصر أحمد عَبْشَان النعمي .
- العلاّمة : يحيى بن حسن النعمي : توفي عام ١٠٣٨هـ.
- العلاّمة : إبراهيم هادي الفقيه .
- العلاّمة : علي بن حسن بن محمد النعمي : كان مفتي المخلاف، تولى قضاء المخلاف عام ١٠٧٦هـ.
- العلاّمة : علي بن محسن حسن النعمي : توفي عام ١٠٤٩هـ.
- العلاّمة : عبدالرحمن بن أحمد حسن البهكلي : مولود في صبيا عام ١١٨٢هـ، تولى القضاء في (بيت الفقيه)، وهو بالإضافة إلى أنه عالم فاضل فقد كان أديبًا وشاعرًا، وله عدة مؤلفات سأتحدث عنها ـ إن شاء الله ـ في الفصل الخاص بالحركة الفكرية .
- العلاّمة : سالم عبدالرحمن باصهي : من صبيا .
- العلاّمة : محمد إبراهيم حُشَيْبِري : من صبيا، وكان أديبًا وشاعرًا .
- العلاّمة : محمد حيدر القُبِّي : من قرية (الملحا)، من قضاة الإدريسي .
- العلاّمة : محمد عبدالله مُبَجَّر : من قرية (الجارة)، من قضاة الإدريسي .
- العلاّمة : علي إبراهيم عطيف النعمي : من (العالية)، من قضاة الإدريسي .

أما في العهد السعودي : عهد النهضة العلمية والأدبية والثقافية ، فقد برز العديد من العلماء الأفاضل في صبيا وبعض قراها، فاشتغل بعضهم بالقضاء، واشتغل البعض الآخر في مجال التعليم، وسأذكر هنا أسماء من برزوا من العلماء واشتغلوا بالقضاء وهم :

- فضيلة الشيخ عبدالله بن موسى الحازمي : من قرية (الظَّبْيَة) التابعة لصبيا، وقد تولى القضاء في أكثر من جهة .
- فضيلة الشيخ حسن بن محمد الحازمي : من قرية (الظَّبْيَة)، تولى القضاء في أكثر من جهة .
- فضيلة الشيخ علي بن حسن الحازمي : من قرية (الظُّبْيَة) وهو قاض بمحكمة صبيا حاليًا .
- فضيلة الشيخ أحمد علي عبدالفتاح الحازمي : من قرية (العريش) تولى القضاء في أكثر من جهة ، (يرحمه الله) .
- فضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحازمي : من قرية (الحسيني) تولى القضاء في أكثر من جهة .
- فضيلة الشيخ عيسى بن علي الحازمي : من قرية (صلهبة) رئيس محكمة (القنفذة) حاليًا .
- غالب النُّهازي : من قرية (المحلة) .
- محسن بن حسن جَعْبُور: من قرية (العَشَّة) .
- إبراهيم أحمد موسى عقيلي : من قرية (الظَّبْيَة) .

الشعراء

وفي مجال الشعر حظيت صبيا بنصيب لا بأس به في هذا المجال فقد برز فوق ثراها وبعض القرى التابعة لها شعراء شعبيون وشعراء فصحى ومن شعراء الفصحى في الماضي :

(١) **عمارة اليمني:** من قرية (الزرائب) التابعة لصبيا عاش في القرن السادس الهجري، وبالإضافة إلى أنه شاعر فقد كان مؤرخًا، وله بعض المؤلفات، وقد أشرت إليها في الفصل الخاص برواد الحركة الفكرية.

(٢) **الجراح بن شاجر الذروي.**

(٣) **قاسم بن علي الذروي:** وهما من قبائل الذروات التي تسكن قرى وادي (الحسيني).

(٤) **عبدالرحمن بن أحمد الحسن البهكلي:** من صبيا.

(٥) **محمد إبراهيم حُشَيْبري:** من صبيا.

(٦) **هادي بن عثمان السبعي:** من قرية (الحسيني).

أما الشعراء الشعبيون فهم:

(١) **الروضي:** من صبيا.

(٢) **حسن فاسخ:** من صبيا.

(٣) **محسن محمد مشاري:** من صبيا.

(٤) **علي طير:** من صبيا.

(٥) **الجداوي قادري:** من صبيا.

(٦) **القناعي:** من صبيا.

(٧) **عبدالله السلامي:** من السلامة العليا.

(٨) **إبراهيم الحسيف:** من السلامة العليا.

(٩) **موسى هادي عراد:** من قرية الحسيني.

(١٠) **صديق الأحوس:** من العالية.

(١١) **علي بن ناصر**: من العالية.
(١٢) **علي بن مطاعن**: من العداية.
(١٣) **حسن مبارك**: من ساحل الجعافرة.

أما شعراء الفصحى في صبيا حاليًّا فهم:

(١) المؤرخ والشاعر **الأستاذ محمد أحمد عيسى العقيلي**: وله عدة مؤلفات ذكرتها في الفصل الخاص برواد الحركة الفكرية في صبيا.
(٢) **الأستاذ عبدالله مكي زكري**: من صبيا.
(٣) **الأستاذ عبدالواسع سعيد عبده**: من صبيا.

وللادريسي من قصيدة:

أتــلك بروقًــا ما أراهــا لوامــعــا ... تضيء بدوراً أم شمــوســاً طوالــعــا
أم الــنــور من صبــيا سرى متــألقــا ... فحــيا فؤادا كان بالحــب مولــعــا

ومن هؤلاء الشعراء (القاسم بن علي الذروي) صاحب البائية المشهورة، وهي قصيدة طويلة، ومنها أورد هذه الأبيات:

من لصــب هاجــه نشر الــصــبــا ... لم يزده الــبــين إلاّ نصــبــا
وأســــبر كــل مــا لاح لـــه ... بــارق الــقــبــلة مــن صبــيــا صبا
ولــطــرف أرق إنــســانــه ... دون مــن يشــتــاقــه قــد حُجــبــا
لـم يـزل يشــتــاق نخــلان وإن ... قَدُمَ الــعــهــد ويهــوى الــطــنــبــا
ما جرى ذكــر المــغــاني من رُبَــى ... ضَبِرَاتِ الــشَّطِ إلاّ انــتــحــبــا
حبــذا أرض الــقُــعَــيْــسا وطــني ... ولــيــيــلات بهــا مــا أطــيــبــا
وربــى الــبــئــرين مــن قبــليهــمــا ... وزلال بهــمــا مــا أعــذبــا
يــا أخــلائــي بصــبــيــا والــلــوى ... وأحــبــائــي بتــيَّاك الــرُّبَــى
هــل لنــا نحــوكــم مــن عــودة ... ونــرى سِدْرَكُــمُ والــكُــثْــبَــا

فلكم حاولت قلبي جاهدًا ... يَتَسَلَّى عن هواكم فأبى
فاذكروا صبًّا بكم ذا لوعةٍ ... بَانَ عنكم كارهاً مغتصبا
وإذا عَنَّ له ذكراكمُ ... في أُعَيْصَار الشباب انتحبا
وإذا ما سَجَعَتْ قمريةٌ ... صاح من فَرْطِ الجوى واحَرَبا
هائم القلب كئيبٌ دَنِفٌ ... لم ير السلوان عنكم مذهبا
ونرى الحي الذي كنا وهم ... جيرَة بالشام أيام الصِّبا
ليت شعري بعدنا هل طنبوا ... برُبَى نخلان بعدي طنبا
أو تَنَاءَتْ دارهم عن دارنا ... أو سبتهم بعدنا أيدى سبا
عجبًا للدهر ماذا سَنَّهُ ... ولأحداث الليالي عجبا

وللجراح بن شاجر الذروي قصيدة أورد منها هذين البيتين :

ولي في رُبَى صبيا حبيب عشقته ... ومَلَّكْتَهُ روحي وأضفيته وُدّي
إذا صَدَّ عَنّي ساعة خفقت له ... حَشَاي وذاب القلب من حرقة الصَّدِّ

وللأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي قصيدة جميلة، يصف فيها مدارج طفولته ومراتع صباه، وهي في الواقع مطبوعة ومنشورة في ديوانه، ولكنني أورد هنا بعض أبياتها لإفادة القارىء الكريم :

في شط صبيا وتحت السِّدر والطنب ... مرأى تتوق إليه النفس في رغب
زمرديّ الحواشي حيث ما نظرت ... عيناك منه بدا في منظر عجب
حيث الطبيعة لم تعبث بفطرتها ... يد المشذّب في شكل من اللعب
بين المزارع حيث الأرض قد لبست ... من سندس حلة فينانة الهدب
بين المروج غداة الطل باكرها ... مكللاً هامة الأغصان والعذب
في ضفة الوادي حيث الشط تربته ... (حصباء درٌّ على أرض من الذهب
والماء يطفح قد طمت غواربه ... صلع الروابي وجازت هامة الكثب
ينساب كالصل في أحشاء مخضلة ... موشية بطراز الزهر والعشب

طام جرى فاستنزلت كل مشرفة ... من التلال ولاذ الجدب بالهرب
فقلدت منه صبيا عقد غانية ... في جيد مشرقة الأطواق واللهب
يا حبذا السدر قد فاضت أشعته ... على الغدير وماج الماء بالشهب
حتى ظننا أديم الماء قد سبحت ... فيه الكواكب طفو الماء بالحبب
وقد بدا من خلال الغيم مؤتلقًا ... على الهضاب وبين الحزب والسهب
يمج ذائب ماس من أشعته ... في لجة الماء أو درب من اللهب
وغابة السدر تبدو في جلالتها ... شماء سامقة الأفنان كالقبب
من كل عارية السيقان كاسية ... أَضْفَتْ على وجهها سترًا من الحُجُب
تَقَنَّعَتْ بصفيق الخز واشتملت ... مطارفاً من نسيج الغيث والسحب
والشمس من خلل الأغصان ناظرة ... كليلة الطرف في دل وفي غضب
فاضت أشعتها كالتبر ذائبة ... على نثير دموع الطل في القصب
يذرو النسيم جُمانًا من معاطفها ... يحكي سقيط دموع الخُرَّد العُرب

وللمؤلف قصيدة في صبيا ومنها هذه الأبيات:

يقول لي الصديق أرى علامه ... بوجهك إذ عرفت به سِقامه
أتخفي في فؤادك ما تعاني ... من الآلام أم تخفي هيامَه
لعلك قد رميت وذاك ظني ... بسهم من عيون ظباء رامَه
عهدتك ما يهزك شدو طير ... على فَنَن ولا سجع الحمامه
وأنت اليوم شفَّاقًا رقيقاً ... يؤثر فيك حلو الابتسامة
فقلت له ولا أخفيك أمري ... فإني عاشق أذكى غرامه
حبيب قد تحكَّم في فؤادي ... وأهواه إلى يوم القيامه
ولكن من هويت أحب عندي ... من الفتَّان إذ حسروا لِثامَه
وأغلى من ثراء المال قدرًا ... وأسمى من مظاهر أو زعامه
فلا أهوى الظِّبا يغريك منها ... ورود خدودها كالسرمح قامه
ولكني أهيم بحب صبيا ... وهل بلد كصبيا في تهامه

الفصل السابع

صبيا في حاضرها المشرق

* النهضة التعليمية
* النهضة العمرانية
* المواصلات
* الصحة
* الاتصالات
* الكهرباء
* الضمان الاجتماعي
* عنوان المياه
* النهضة الزراعية
* المرافق الحكومية
* مرافق القطاع الخاص

لقد عاني أهل صبيا في الماضي ألوانًا من قسوة الظروف، فعاشوا في ضيق من العيش، وفي وضع أمني يسوده القلق والخوف والاضطراب. وهم اليوم ـ والحمد لله ـ في عهدهم الزاهر يتمتعون برغد من العيش، ويتفيئون ظلال أمن واستقرار وارفة. فقد وفرت لهم الدولة كل وسائل الرفاهية والتقدم، وأتاحت لهم فرص التعليم والعمل. فعمل المواطن في كل مجالات العمل، في الوظائف الحكومية المدنية منها، والعسكرية، وفي المؤسسات الخاصة، وعمل في التجارة، والصناعة، والزراعة، وفي كل مهنة شريفة، تدر عليه الكسب الحلال، فتحسن وضعه المالي تحسنًا كبيرًا فهو اليوم يعيش في بحبوحة من العيش الكريم.

أما في مجال الإنجازات الحكومية في صبيا فهي كثيرة ومنها:

النهضة التعليمية

لقد كان لصبيا نصيب وافر في هذا المجال، فقد انتشرت فيها المدارس والمعاهد التي تضم بين فصولها آلاف الطلبة والطالبات، فبالنسبة للبنين فإن في مدينة صبيا القديمة أربع مدارس ابتدائية، وخامسة في صبيا الجديدة. وأول مدرسة من هذه المدارس تأسست في عام ١٣٥٧هـ، في صبيا القديمة، وهي ما يطلق عليها اليوم مدرسة (ابن خلدون)، فهي امتداد لتلك المدرسة.

وفي صبيا مدرسة متوسطة، . وأخرى ثانوية، وبها معهد علمي، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم. بمراحله الثلاث: الابتدائي، المتوسط، والثانوي، أما

بالنسبة لتعليم البنات ففي مدينة صبيا القديمة ست مدارس ابتدائية، وسابعة في صبيا الجديدة، ومدرسة متوسطة، وأخرى ثانوية، وكلية متوسطة للبنات.

النهضة العمرانية

وفي مجال النهضة العمرانية كان لصبيا نصيب وافر منها، فقد استفادت من القروض التي قدمها صندوق التنمية العقارية، فقامت العمارات المبنية على الطراز الحديث، واختفت تلك المساكن التي كانت مبنية من الأخشاب والقش والتي كانت تمثل ٩٠٪ من بيوتها في الماضي القريب.

والذي يعرف صبيا في الماضي وغاب عنها عشر سنوات ثم عاد إليها بعد نهضتها العمرانية الحاضرة فإنه ولا شك سينكر أن هذه صبيا التي عرفها من قبل. فقد ارتفعت العمارات في كل حي من أحيائها، وامتدت الشوارع المزفتة. وأصبحت السيارات كوسائل نقل على اختلاف أنواعها تجوب شوارعها وأسواقها تعج بالحركة التجارية، وتحوى كل السلع الغذائية، وغير الغذائية، وبإلقائك نظرة - أيها القارىء الكريم - على الصورة رقم (٢٠) فانك ترى صورة واضحة لمساكن صبيا التي كانت مبنية من الخشب والقش، ثم انظر: الصور من رقم (٢١) إلى (٢٧)، فإنك ترى - أيضا - صورة واضحة لجانب من مساكن صبيا حاليًا، وسيتضح لك دون شك من الصورتين البون الشاسع بين الأمس واليوم.

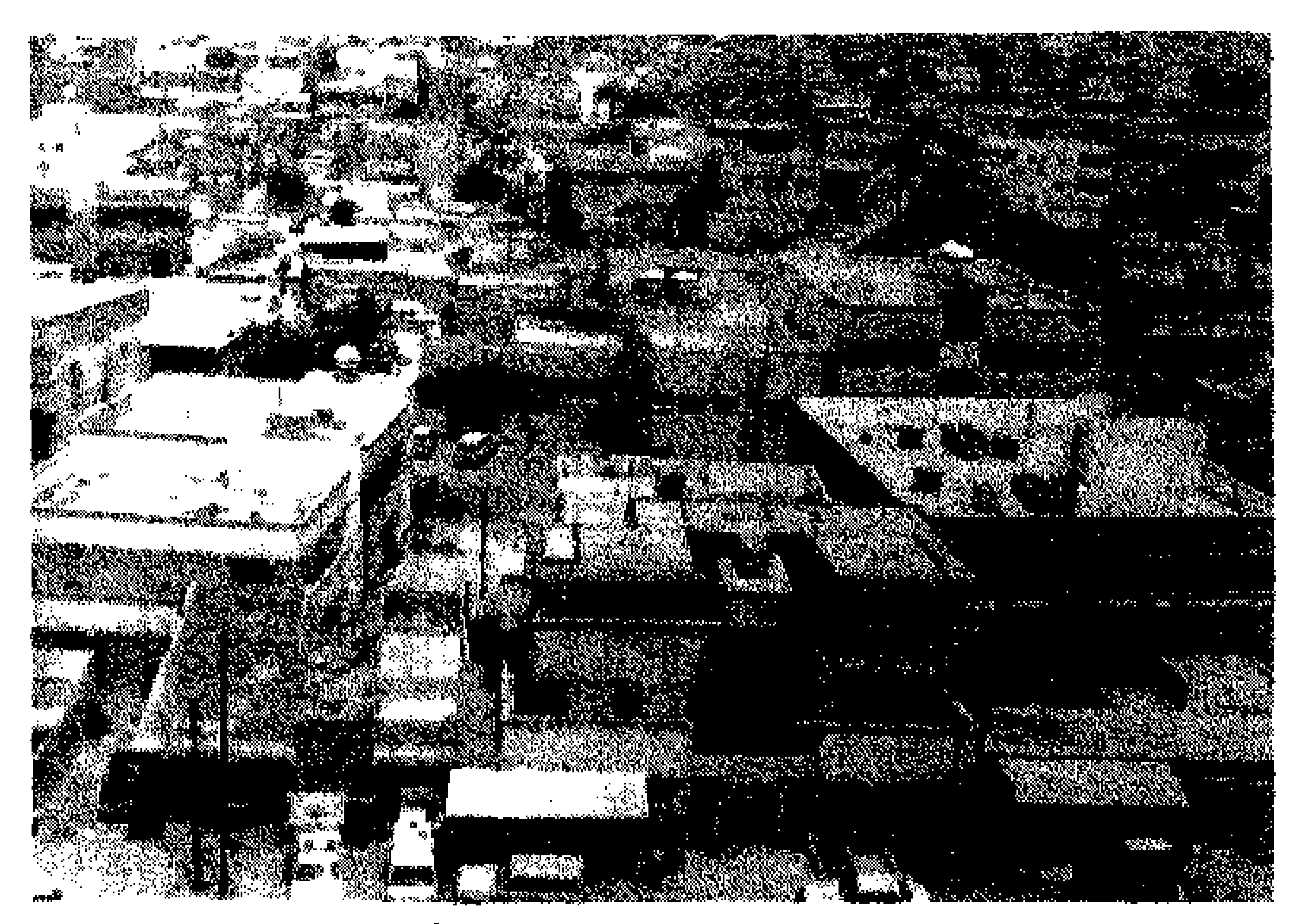
المواصلات

ترتبط مدينة صبيا بشبكة واسعة من الطرق المزفتة تربطها بجميع مدن المملكة، كما تربطها خطوط فرعية بما يصل إلى ٧٠٪ من قراها حاليًا.

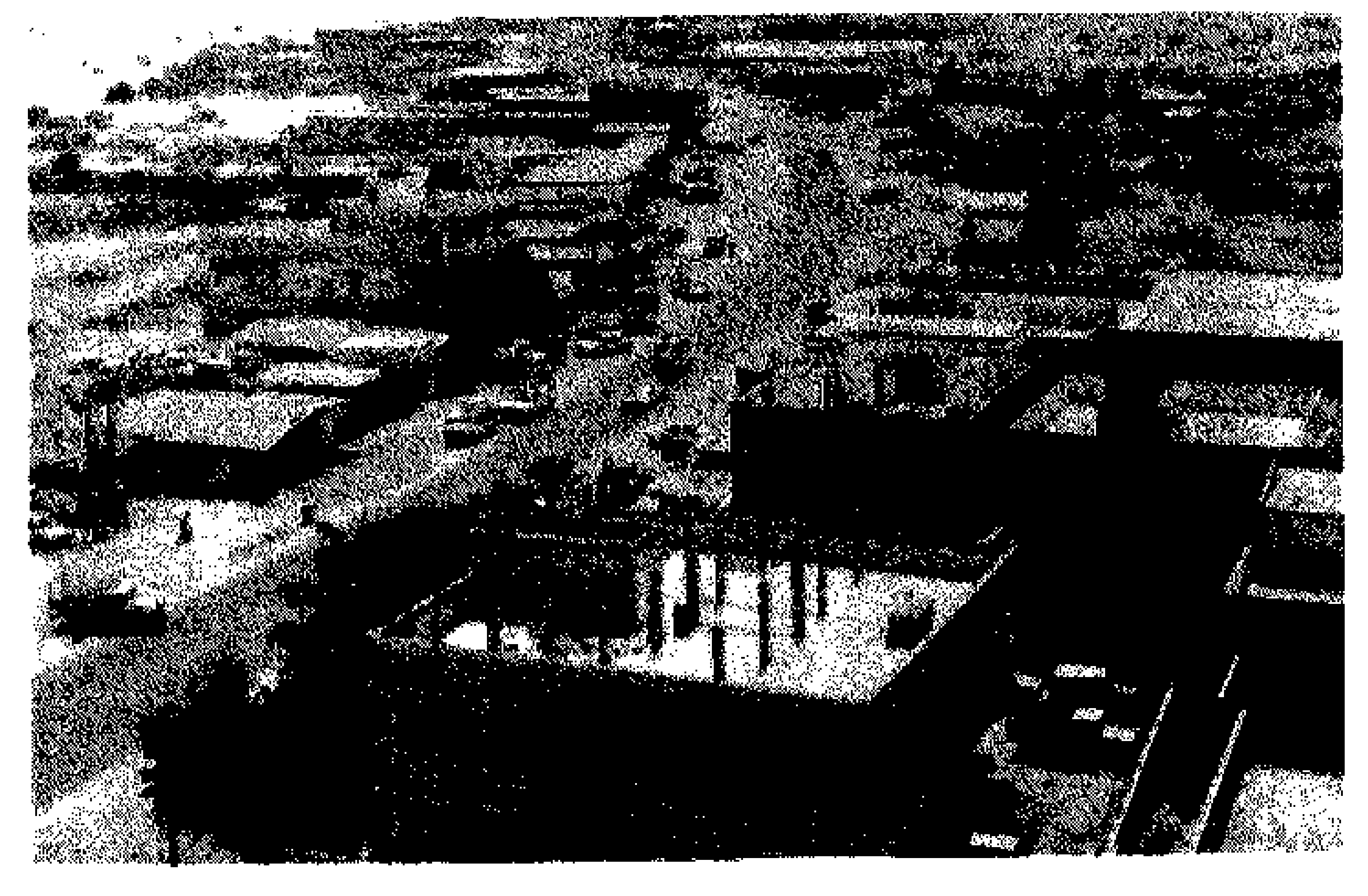
الصحة

يوجد بمدينة صبيا حاليًا مستشفى عام، وثلاثة مستوصفات، واحد منها في صبيا الجديدة. ويقوم المستشفى بعمل كل ما يلزم من علاج وعمليات جراحية في حدود إمكانياته، أما المستوصفات فمهمتها إعطاء المرضى الإسعافات الأولية.

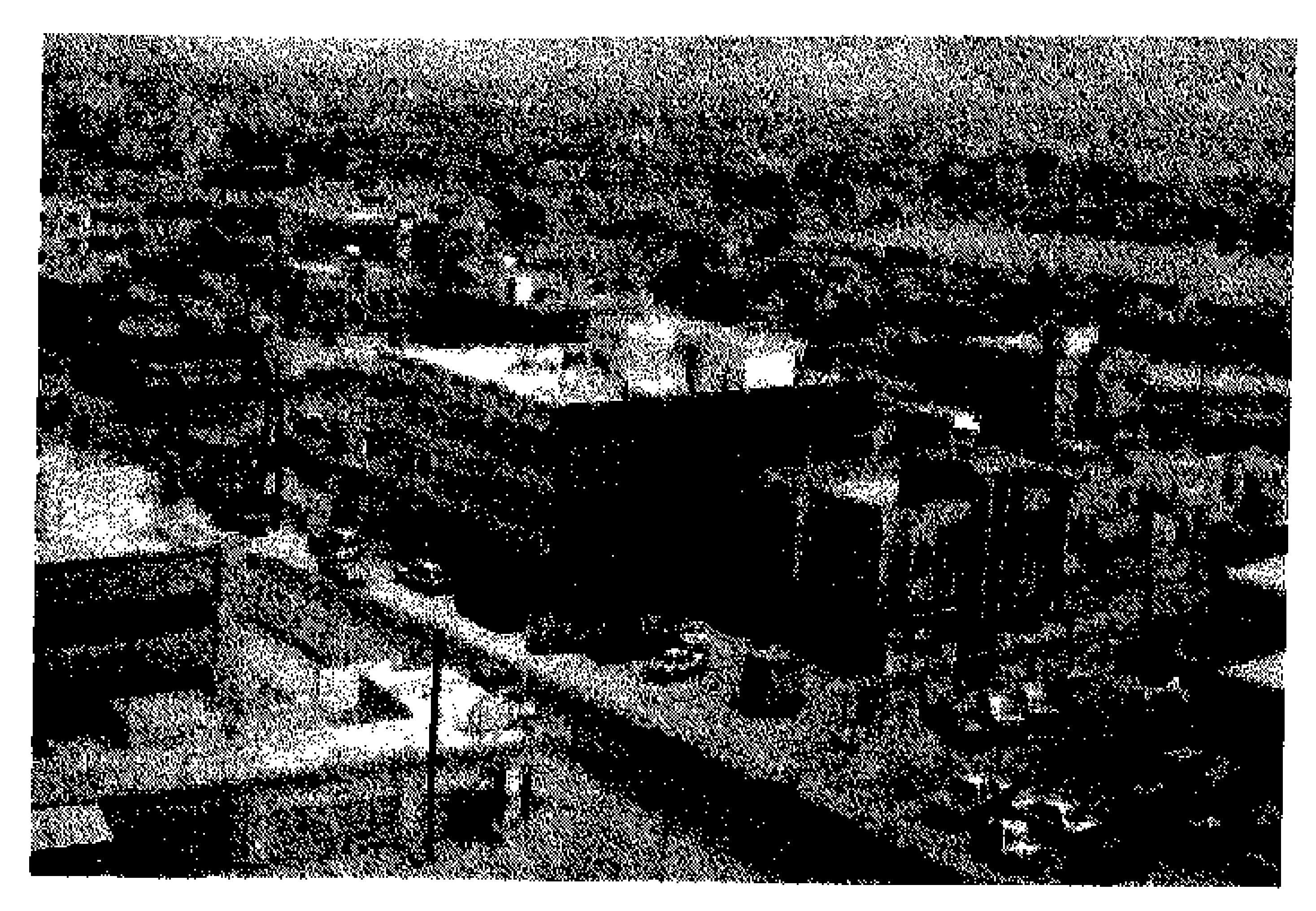
صور لمساكن صبيا في الماضي وغالبيتها من القش



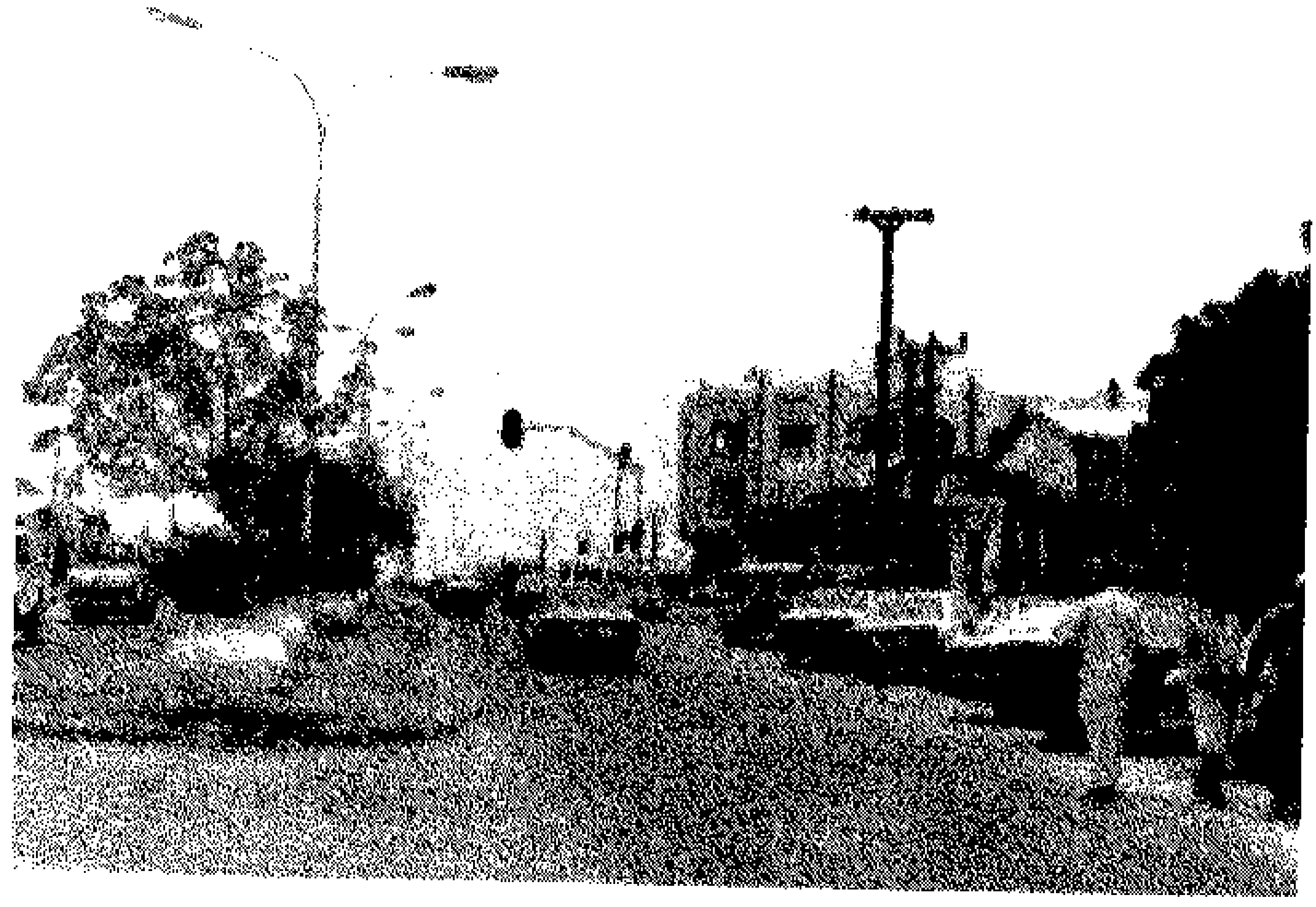
صورة لجزء من مساكن مدينة صبيا حاليًا



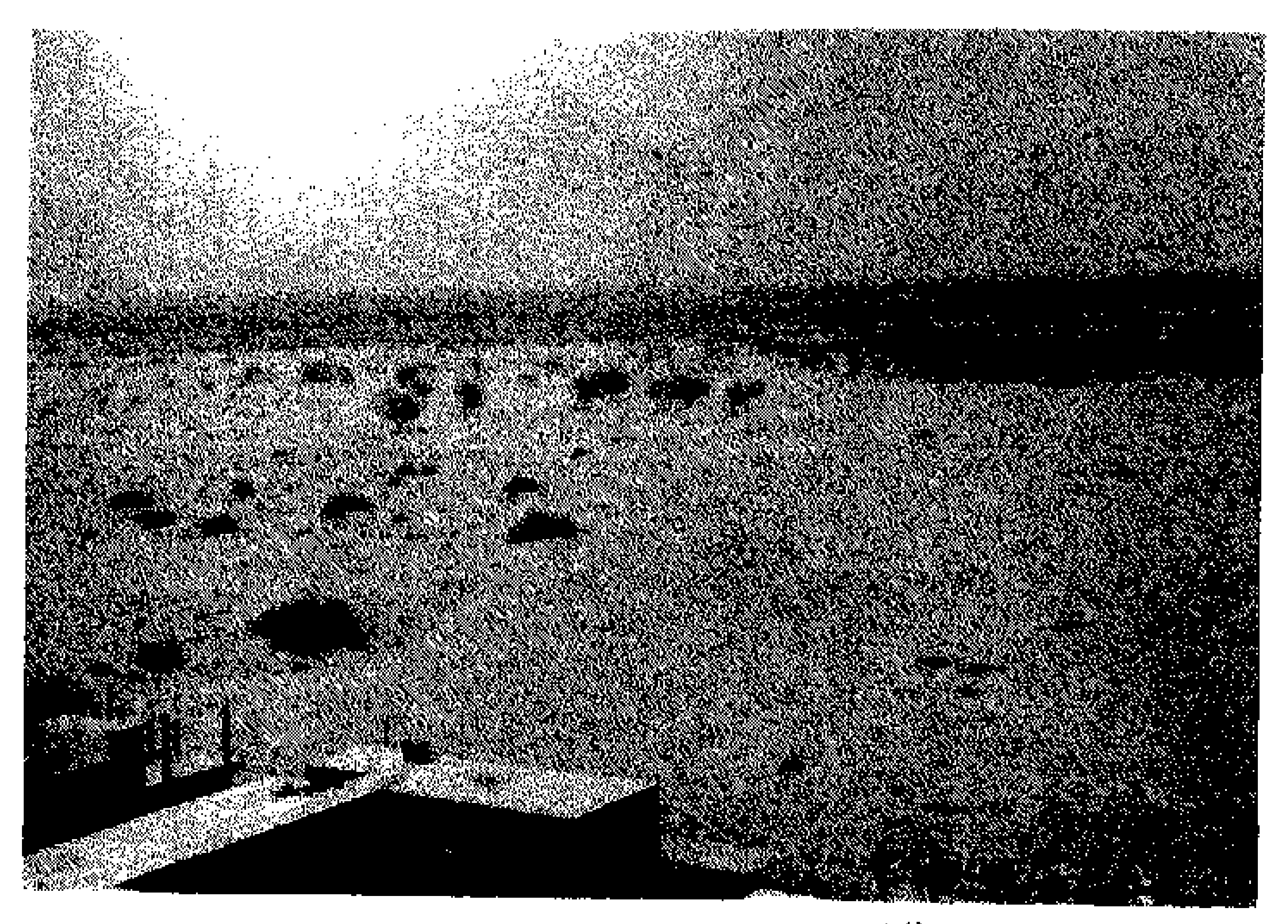
صورة لبعض مساكن مدينة صبيا وقد ظهر فيها الشارع العام



صورة لبعض مساكن مدينة صبيا



صورة لمدخل مدينة صبيا الشرقي



صورة للوادي جنوب مدينة صبيا وقد ظهر فيها غابات السدر



صورة لبعض المناظر الجميلة في صبيا

الاتصالات

ترتبط مدينة صبيا بشبكة اتصال هاتفية عن طريق محطة الميكروويف، تربطها بجميع مدن المملكة، كما تربطها ـ أيضا ـ بالعالم الخارجي مثلها في ذلك مثل كل مدن المملكة.

الكهرباء

وفي مجال الكهرباء فقد عمت كل بيت في مدينة صبيا بما في ذلك مداخل المدينة الرئيسية، وبعض شوارعها الرئيسية.

الضمان الاجتماعي

وفي مجال الصرف للمستحقين من الضمان الاجتماعي، فإن الدولة أعطت الاهتمام الكبير لهذا الجانب الإنساني، والصرف قائم على قدم وساق لكل مستحق في المدينة والقرية على حد سواء، وبصورة منتظمة، وفي الأوقات المحددة للصرف، بل إن التوسع مستمر في صرف الضمان للمستحقين عند ظهور أية حالة تستحق الصرف.

عنوان المياه

وفي مجال مياه الشرب فقد توافرت في كل بيت من مدينة صبيا بواسطة شبكة المياه الموجودة في المدينة والتي تمدها الآبار الارتوازية والخزان المقام عليها بالماء العذب. وكذلك الحال في أكثر قرى صبيا.

النهضة الزراعية

اهتمت الدولة بهذا الحقل اهتمامًا كبيرًا، لعلمها أن الزراعة هي مصدر غذاء الشعوب وحياتها، بل إن الزراعة كانت ومازالت في بعض دول غير صناعية هي مصدر دخل الدولة نفسها.

وفي هذا المجال قدمت الدولة للمزارعين في كل أنحاء المملكة، ومن ضمنها صبيا، ومنطقة جازان عمومًا مساعدات متنوعة، منها النقدية والآلية، ومنها ما يتعلق

بتوجيه وإرشاد المزارعين، بل إنها أقطعت بعض المزارعين أراضٍ زراعية فمنحتهم مساحات أوسع من أرضهم من ممتلكات الدولة العامة لتحفزهم على العمل والإنتاج، كما سفلتت لهم الكثير من الطرق الزراعية، لتسهل لهم نقل محصولهم الزراعي إلى الأماكن التي يباع فيها المحصول، ولولا هذه المساعدات السخية من الدولة لما توافر الإنتاج وأصبح لدى الدولة اكتفاء ذاتي من القمح، بل إنها تصدر الفائض عن حاجتها إلى الأسواق العالمية، وتُقدم بعضه مساعدات لدول شقيقة، ودول صديقة، هي في حاجة إليه نظرًا للمجاعة التي تجتاح شعوبها. وهنا في صبيا يتلقى المزارعون إعانات وقروضًا وآلات بنصف أثمانها، ويتلقون كذلك إرشادات زراعية، تقوم بها الوحدة الزراعية الموجودة في صبيا، ولولا هذه المساعدات لتأثر المزارعون، وقل الإنتاج بسبب قلة الأيدي العاملة التي كانت متوافرة في الماضي وبأجور منخفضة، والمزارعون اليوم يعانون من الأجور المرتفعة التي يدفعونها للعمال، وفي اعتقادي أن قلة الأيدي العاملة في المجال الزراعي ترجع إلى تحسن الوضع المالي للعمال في مجالات أخرى، لهذا فقد أحجم العمال عن العمل الشاق في الحقل الزراعي، لأنهم وجدوا عملاً سهلاً، وبأجر أكثر في المجال غير الزراعي، ومع ذلك فإن المزارعين في صبيا يبذلون جهودهم في سبيل استمرار زراعة الأرض، ووفرة الإنتاج، على الرغم مما يدفعون من أجور مرتفعة للعمال والتي تستنزف الكثير من قيمة المحصول، كما أن البعض يقومون بتربية المواشي في مزارعهم وخاصة الضأن والماعز منها، مما ساعد على توافر الثروة الحيوانية في صبيا.

وصبيا اليوم ـ والحمد لله ـ لديها الاكتفاء الذاتي من حبوب الذرة والخضراوات والمواشي.

المرافق الحكومية

مما لا شك فيه أن مدينة صبيا وهي المدينة الثانية بعد مدينة جازان القاعدة من حيث كثرة السكان وامتداد العمران، لا بد أن توجد فيها الكثير من المرافق الحكومية، وبعض مرافق القطاع الخاص، ومن المرافق الحكومية الموجودة في صبيا ما يلي:

١ ـ الإمارة.
٢ ـ المحكمة.
٣ ـ إدارة التعليم.
٤ ـ البلدية.
٥ ـ الشرطة.
٦ ـ إدارة المرور.
٧ ـ الأحوال المدنية.
٨ ـ مركز الدفاع المدني.
٩ ـ إدارة البريد.
١٠ـ إدارة الهاتف.
١١ـ هيئة الأمر بالمعروف.
١٢ـ البنك الزراعي.
١٣ـ الوحدة الزراعية.
١٤ـ مركز مكافحة المخدرات.

وتعتبر إدارة تعليم صبيا مستقلة بذاتها يرتبط بها القسم الشمالي من منطقة جازان إلى حدود القحمة شمالاً، ومن قوز الجعافرة غربًا، إلى مركز الربوعة شرقًا. وتضم الجهات التالية بالإضافة إلى مدينة صبيا ذاتها والقرى التابعة لها:

١ ـ ضمد.
٢ ـ الشقيري.
٣ ـ بني الغازي.
٤ ـ فيفاء.
٥ ـ بني مالك.
٦ ـ الربوعة.
٧ ـ جبال الحشر.
٨ ـ منجد.

٩ - هـــروب.
١٠- الرّبـــث .
١١- الحـقــو.
١٢- بيـــش.
١٣- الدرب.
١٤- الشقن.
١٥- القحمة.

وتتبع هذه الجهات مئات القرى، ويبلغ عدد المدارس في هذه الجهات أكثر من مائتي مدرسة إبتدائية، وثلاث وسبعون مدرسة متوسطة، وتسع مدارس ثانوية، وخمس مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، كما يوجد بصبيا ناد رياضي ثقافي اجتماعي يطلق عليه (نادي الأمجاد).

مرافق القطاع الخاص

ومن مرافق القطاع الخاص في صبيا ما يلي:
١ - مؤسسة الراجحي التجارية للصيرفة.
٢ - شركة الراجحي المصرفية للاستثمار.
٣ - البنك الأهلي.
٤ - البنك العربي.
٥ - بنك الرياض.
٦ - مستشفى أهلي للأطفال والولادة.
٧ - مستوصف أهلي.
٨ - روضة أطفال.

وفي مدينة صبيا عدد من الصيدليات، هي:
١ - صيدلية فيفا.

٢ ـ صيدلية الساحل.
٣ ـ صيدلية سماح.
٤ ـ صيدلية سرحان.
٥ ـ صيدلية الهلال.
٦ ـ الصيدلية الأهلية.
٧ ـ صيدلية السدمي.

كما أنه يوجد بها عدد من المكتبات مثل:

مكتبة الخطاب: لصاحبها السيد/ محمد عبدالله عبدالباقي، مكتبة الصافي: وهي أكبر مكتبة في صبيا لصاحبها الأستاذ/ الأديب علوي طه الصافي ـ رئيس تحرير مجلة الفيصل. .ومكتبة الرسالة، وغيرها.

●●●

الفصل الثامن

العادات والتقاليد

* الختـــان
* الرقصات المصاحبة للختان
* وليمة الختان
* عادات الزواج
* ليلة الشدود
* العادات في رمضان
* الأكلات في رمضان
* العيد ومظاهر الأفراح فيه
* وجبة الافطار يوم العيد
* التدرية
* العادات في الحج
* ليلة الوداع
* يوم تجبيل القمادة

للقبائل في صبيا عادات وتقاليد موروثة كغيرها من المدن والقرى في سائر المنطقة، ومن هذه العادات:

الختان

يطلق على الحفلات التي تقام بمناسبة الختان (ألْهُود)، ويطلق على الشاب الذي سيختتن (الدِّرم)، وكان الشاب في صبيا وقراها لا يختن قبل سن الخامسة عشرة، وقد تتعداها إلى عشرين سنة، لأن هذا الشاب سيواجه حالات قد لا يحتملها قبل هذا السن، فمثلا سيجرى ختانه أمام الجمهور وجهًا لوجه دون أية ستارة تستره عن الأنظار حتى يتم ختانه، لذلك فإن العيون ترقبه وترصد حركاته، وهذا يتطلب منه شجاعة وجرأة في الوقت نفسه، ثم أنه سيواجه ألمًا شديدًا عند قطع جِلْدَةِ عضوه، لأن وسائل التخدير التي تستعمل حاليًّا عند إجراء أية عملية جراحية والتي تساعد على عدم الشعور بالألم لم تكن موجودة في ذلك الوقت، ولو وجدت فلن تعطى له، لان تعاطيها سيقلل من الشعور بالألم، وهذا بدوره يقلل من قيمة مقدار تحمل الشاب للقطع الجائر. يضاف إلى ذلك فترة العلاج التي قد تستغرق شهرين أو أكثر بالطريقة القديمة والتي سأتحدث عنها بالتفصيل بعد هذا - إن شاء الله - وكم تسبب العلاج في حدوث عاهات في أعضاء بعض الشباب.

وكان بعض الناس في صبيا وبعض قراها في الماضي يعلِّمون أولادهم عندما يحين وقت ختانهم بعض أسماء أجدادهم، فإذا ما وقف الشاب للختان وأقبل الخاتن

(الشخص الذي يقوم بعملية الختان)، وشفرته بيده، فإن أول عمل يقوم به الخاتن هو أن يضرب صدر الشاب بعرض الشفرة ـ أي بسطحها ـ ويقول له: «اليوم يومك، الحدّ فيك»، كأنه بهذا يستثير نخوته ورجولته، وعندها يستعد الشاب ويقف كالعمود المسلح بارز العينين ويبدأ (الخاتن) في القطع، وفي الوقت نفسه يبدأ الشاب في سرد أسماء أجداده بالتسلسل فيقول: أنا فلان ابن فلان إلى آخر اسم يحفظه من أجداده. ويتعمّد الخاتن قطع الجلدة بصورة بطيئة كأنما هو يختبر شجاعة هذا الشاب وصبره، وعلى الشاب ألا يبدو عليه أي ارتباك في سرد الأسماء أو يغمض عينيه، أو يتحرك بين يدي الخاتن، فإذا ما فعل ذلك فإنه يوصف بالجبن، أما إذا صمد في ثبات لكل هذه الامتحانات فإنه يُعدُّ في نظر الجمهور الحاضر في وقت الختان بطلاً وشجاعًا.

أما عملية علاج جرح الختان فبدائية قاسية تقوم على علاج من أوراق أشجار البيئة وقد تؤدي إلى تشوهات أو عاهات بالأعضاء، وتستمر شهورًا متتالية، وليس في تفصيل طرقها فائدة للقارىء الكريم.

الرقصات المصاحبة للختان

تصاحب حفلات الختان بعض الرقصات الشعبية المعروفة وهي:

(١) السيف: وتؤدى هذه الرقصة بعد عصر أول يوم يسبق الختان داخل حائط بيت صاحب الختان، ولا تحتاج «رقصةالسيف» إلى مكان واسع كالعرضة، لأن الرقصة تقتصر على الشاب، وعلى اثنين أو واحد يقابله، فإذا رغب آخر في اللعب تأخر اللاعب الأول ليحل محله الراغب الثاني في الرقصة، ورقصة السيف خفيفة الحركة وتؤدي على إيقاعات الطبول، وليس لها أناشيد، وفي أثناء رقصة السيف تنهال الدراهم على أصحاب الطبول من أقارب الشاب وأصدقائه، ومن الضيوف الذين دعاهم لحضور هذه المناسبة.

وتسمى عملية إلقاء الدراهم على أصحاب الطبول (نَقْط) فإذا ما أراد أحد أن ينقط فعليه أن يقرِّب الشاب من صاحب الطبل، ثم يساقط الدراهم مبتدئًا برأس

الشـاب، ثم يضعهـا في جوف الـطبل، بمعنى أنه يضع الدراهم أولاً: على رأس الشاب، ثم يضعها في جوف الطبل لكي يراه الحاضرون، وهكذا فإذا ما انتهت «رقصة السيف» توجه الجميع إلى ميدان العَرْضَة وهو خارج المدينة أو القرية، وفور خروجهم من البيت تدق الطبول رقصة «الدِّلْع» وهي:

(٢) الدِّلْــعْ: ورقصة «الدِّلْعْ» سريعة الحركة، وهي لا تؤدى إلا في حالة الانتقال من مكان إلى آخر. وتتمثل في أن يتقدم الشاب الذي سيختتن الصفَّ، ومعه بعض الشبان، ويحمل الشاب الجنبية في يده في كل الرقصات، أما الباقون فيتخلفون وراءه على شكـل صف طويل إذا كان الشـارع يتسع لذلك، وإلا تجمعوا في صفين، وسارعوا للوصول إلى ميدان العرضة، وتسمى رقصة «الدِّلْع» «الدَّمَّة»، ولا أنـاشيد لرقصـة «الـدِّلْـع» إلا في حالة واحدة وهي بعد الانتهاء من وليمة (الختـان)، حيث تدق الطبول رقصة (الدلع) ويطلق عليه (دِلْعالتَّكْثيرة» حين يشـارك الضيوف في هذه الـرقصـة ويعـودون بعدها إلى بيوتهم، وكذلك «دِلْعْ الحَـرْب» له أنـاشيد خاصـة به، وسأورد أمثلة من هذه الدلوع (جمع دلع) في مواضعها ـ إن شاء الله ـ.

(٣) العـرْضــة: تؤدى رقصة العرضة في ميدان واسع خارج المدينة أو القرية، لأن أكثر الحاضرين يتجمعون في الميدان، وتنتظم صفوف اللاعبين في طوابير طويلة، ويستمر الرقص إلى غروب الشمس، ويشارك في رقصة «العرضة» كل من يرغب في آن واحد، بخلاف رقصة «السيف» ورقصة «العرضة» كـ «السيف» و«الدلع» لا أناشيد لهما.

وإذا ما انتهت «العرضة» تفرق الحاضرون، وعاد الشاب بمن معه من الضيوف والأقارب والأصدقاء، وهم يرقصون رقصة «الدلع» إلى البيت، وعند الوصول يعود الضيوف إلى بيوت مُضيفّيهم، ويدخـل والـد الشـاب بحصتـه من الضيوف الذين استضافهم حين وصولهم في ذلك اليوم، وسأتحدث بالتفصيل عن موضوع الضيوف في الحفل الخاص بالوليمة ـ إن شاء الله ـ.

(٤) الـزِّيـفَــة: ووقت هذه الـرقصـة بعد صلاة العشاء، وتؤدى خارج المدي القرية، وتستمر إلى ما قبل صلاة الفجر، ولهذه الرقصة أناشيد خاصة بها، في أغلب الحالات لا تؤدى إلا بحضور شاعر شعبي، وتؤدى هذه الرقصة إيقاعات الطبول، وتتكون من صفين يتوسطهما الشاعر وقارعو الطبول.

ولا يشارك في هذه الرقصة إلا الذين يجيدون أداءها، ولهم القدرة على حف يلقيه الشـاعـر إليهم من شعـر، وفي سرعـة خاطفة، ويستحسن أن تكون أص المشاركين في الرقصة والإنشاد حسنة، بحيث تشنِّف آذان السامعين من المتفرجين - صفوف اللاعبين.

فإذا ما دقت الطبول بدأ الرقص على إيقاعاتها في حركات متناسقة، ويبدأ الن في الإنشاد ليردِّده اللاعبون من ورائه، وهكذا إلى ما قبل الفجر كما ذكرت آنفًا.

ومن شعر «الزِّيفَة»، المقطوعة التالية للشاعر عبدالله السلامي:

صاحـبـي لـنـتـه تشي المـحض[1] هيا تعـالـبـنـا[2]
لي ثلاثـة أيام أدور[3] ورا الـبَـكـرة[4] تاعـب وانْـدَرَكْ[5] حالي
الله يسـقـي[6] في المـقـطـع[7] تلاقـينـا بالـعـوادي[8] وحـلـبـنـا[9]

---

(١) الحليب.

(٢) يقصد بها الجهة الشرقية عن صبيا، وكثير من أهل منطقة جيزان إذا ذكر الجهة الشرقية فإنه يقول العليا. ويقول للجهة الغربية الجهة السفلى، والشاعر يقول لصاحبه: إذا أردت حليب الإبل فتعال إلى الجهة الشرقية حيث توجد الإبل هناك.

(٣) أبحث.

(٤) الناقة الصغيرة السن، وهي كناية عن الفتاة الكاعب.

(٥) أعياني التعب.

(٦) سقاه الله المطر.

(٧) موضع ديار عبس بين وادي ضمد ووادي قصي.

(٨) نوع من الإبل بيض الألوان.

(٩) حلبنا الحليب.

الرد وهو للشاعر نفسه:

صاحبي في وسط عيني تعالبنا[1]
والسلامي قال شاهبك يا الغالي في المقل[2] واندر كحالي[3]
وان تشي في القلب والله لاحطك شل بيتك وحل بنا[4]

فإذا ما انتهى الوقت المحدد للزيفة عاد الجميع إلى بيوتهم، وفي صباح يوم الختان، وفي حوالي الساعة السابعة بالتوقيت الزوالي، وبعد تناول وجبة الصباح تدق الطبول رقصة «السيف»، ويبدأ الرقص، وتنهال الدراهم على أصحاب الطبول بالطريقة نفسها التي سبق شرحها، وبعد الانتهاء من رقصة «السيف» ينتقل الجميع إلى الموقف المخصص للعرضة والختان، وهم يرقصون رقصة «الدُّلع»، فإذا ما وصلوا إلى الموقع بدأت العرضة، ولكن لفترة تقل عن فترة اليوم الأول، ثم يجرى ختان الشاب وبالطريقة نفسها التي سبق أن شرحتها، وبعد الختان تدق الطبول رقصة «الدُّلَع»، ويعود المختون مع أقاربه وأصدقائه، وهم يرقصون رقصة «الدُّلَع»، ويتجولون به قبل العودة إلى البيت في شوارع المدينة أو القرية، ثم يعودون إلى البيت بعد ذلك لعلاج المختون.

أما الضيوف فيعودون إلى بيت والد الشاب (المختون) لتناول طعام الوليمة الكبرى التي سيقيمها على شرفهم بعد صلاة الظهر، وسأتحدث عن هذه الوليمة في حقل خاص بها ـ إن شاء الله ـ.

أما دور النساء في حفلات الختان فيتمثل في إقامة حفل خاص بهن في بيت أهل الشاب الذي سيختتن وذلك في المساء، أي في الوقت الذي يؤدي فيه الرجال رقصة

---

(١) تعال ابن بيتك في وسط عيني.
(٢) مقل العين.
(٣) أخرج عيني وأضعك مكانها، والعين موضع الكحل.
(٤) اسكن بنا.

«الزيفة» خارج المدينة أو القرية، فيقمن بإقامة حفلهن، حيث إن لهنّ رقصات وأنواع من الأغاني خاصة بهنّ، وفي الصباح بعد الختان يقمن - أيضًا - برقصة خاصة بهنّ تسمى (الدَّيّشة)، ويصاحب هذه الرقصة أناشيد خفيفة مثل:

يـا أم الختـين سرّنـي مـا سـرك   يـا أم الخـتـين قطـعـي مـصرك[1]

هذه هي العادة التي كانت متبعة في مناسبات الختان، ولقد كانت عملية الختان عند بعض أهل صبيا وبعض قراها، بل وفي عدة مدن وقرى من المنطقة في الماضي تتعدى حدود العضو إلى قطع جزء من جلدة العانة، وهي المنطقة التي تحت السرة وكان أي ختان يتم بهذه الطريقة يعتبر ميزة من مميزات الرجولة عند الشاب في ذلك الوقت، وبـالعكس إذا لم يفعل ذلك، وهي عملية لها آثارها السيئة على صحة الشبان وهذه العملية في الـواقـع عملية موروثة أملاها عليهم الجهل والتعصب القبلي الذي كان ظلامهما يجثم على أجواء المنطقة في الماضي.

وليس معنى هذا أنه كان لا يوجد في صبيا وقراها رجال من أهل المعرفة، ومن أهل العقول النيِّرة والواعية يحاربون هذه العادة السيئة. بل كانوا موجودين بالفعل في صبيا وقراها، وكانوا يستهجنون هذه العادة الضارة ويحاربونها بكل وسائل الإقناع وذلك لسببين:

- الأول: لمخالفتها للسنة.
- الثـاني: لما لها من آثـار سيئـة على صحة الشبان الذين يختتنون بهذه الطريقة الضارة، ولكن عامل الجهل والتخلف والتعصب القبلي كان عند أولئك القوم أقوى من عامل التعقل.

(١) قطعة صغيرة من قماش خاص يلف بها شعر الرأس، وقد جرت العادة أن تقطع أم المختون وأقاربه كالأخت والعمات والخالات مصارهن ومقالمهن تعبيراً عن الفرح حين الرقص.

يضـاف إلى ذلك غياب السلطة القوية الرادعة التي تستطيع الضرب بيد من حديد على أيدي أولئك الأقوام الذين أعماهم الجهل والتعصب القبلي.

ولكن هذه العادة سرعان ما تلاشت في بداية العهد السعودي الزاهر حينما نشر هذا العهد ظلالاً وارفة من الأمن والاستقرار على ربوع منطقة جازان بأسرها، بعد أن أصبحت هذه المنطقة جزءًا من المملكة العربية السعودية التي وحدها صاحب الجلالة الملك عبـدالعـزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ـ طيب الله ثراه وتغمده برحمته ـ وذلك في عام ١٣٥١هـ، ونشر الوعي فيها، فقد بذل المسئولون في الدولة آنذاك جهودًا مشكـورة في محاربة الجهل، وكل ما يتعارض مع الكتاب والسنة، ومنها هذه العادة السيئة، وقد استخدم المسئولون كل وسائل الإقناع من نصح وتوجيه وإرشاد، وبالوعيد أحيانًا بإنزال العقوبة بكل من يخالف الكتاب والسنة وعندها أدرك القوم خطأهم وعادوا إلى اتباع السنة في ختان أولادهم، إلا أن العلاج استمر على تلك الطريقة القديمة، نظرًا لعدم وجود البديل، وعندما انتشرت المستشفيات والمستوصفات في المنطقة وبدأت تمارس دورها في الختان والعلاج بطريقة صحية وسليمة سارع الناس إلى ختان أولادهم في سن مبكرة ضاربين عرض الحائط بتلك العادات القديمة الضارة.

وليمة الختان

قبل أن أتحدث عن وليمة «الختان»، أودّ أن أُشير إلى أن والد الشاب الذي يعتزم ختان ولده لا بد أن يكون له أقارب وأصدقاء خارج مدينته أو قريته، لذلك فهو يوجه الـدعـوة إليهم لحضور حفل ختان ولده، ويحدد لهم الموعد، وهو اليوم الذي يسبق الختـان، وفي هذا اليوم يصل المدعوون إلى من دعاهم، وعند وصولهم يسارع أهل القرية أو الحي من المدينة التي يسكن فيها والد الشاب للمشاركة في استقبال الضيوف والترحيب بهم، ويطلق على هؤلاء الضيوف (المطاليب). ثم يقوم بعض المشاركين في الاستقبال ممن يستطيعون القيام بواجب الضيافة بأخذ بعض الضيوف لاستضافتهم، فيأخذ الواحد منهم الضيفين والثلاثة على حسب إمكانياته، أما الداعي فنصيبه في اليوم

الأول كنصيب أحدهم، ولكنه في اليوم الثاني وبعد الختان يحمل العبء كله، وتعتبر هذه المشاركة عونًا لصاحب الحفل. أما الوليمة فإنها تتطلب من والد الشاب استعدادًا كبيرًا ومجهودًا أكبر في التحضير لها قبل موعدها، فعليه أولاً: أن يهيىء المكان المناسب الذي يتسع للوليمة والضيوف وغير الضيوف ممن يحضرون الوليمة، وعليه أن يشتري الذبائح والدقيق والسمن والعسل واللوازم الأخرى، وعليه ـ أيضًا ـ تحضير أوعية الأكل لأنها لن تكون كلها متوافرة لديه.

أما موعد الوليمة فبعد صلاة الظهر، وتتكون الوليمة من عجين الدقيق الأبيض المصنوع على شكل رقائق، وتوضع هذه الرقائق فور إنزالها من على النار في قدور كبيرة منحوته من الأحجار تسمى (مقالي). ثم تهرس بالأيدي وهي ساخنة فتصير كتلة واحدة، وتوضع على شكل صومعة في كل قدر، ثم يصب في جوانب كل صومعة السمن والعسل في فراغات تخصص لهما، فإذا لم يتوافر العسل فيستعاض عنه بالسكر، وتسمى هذه الأكلة (معصوب)، وتوجد أكلة أخرى يفضلها بعض الناس، وتسمى (هريسة). يقدمونها على ولائمهم بدلاً من (المعصوب). وهي مصنوعة من حبوب القمح مع اللحم، ويصب عليها السمن والعسل أو السكر في حالة عدم وجود العسل، وهي تشبه أكلة (الجريش) في نجد، إلا أن الجريش يؤكل غير مُحلى، ثم يضاف الى الوليمة (الحَنِيذ) اللذيذ الطعم الطيب الرائحة، وفي صبيا أناس متخصصون في صنع الحنيذ، بالإضافة إلى خمير الذرة المفتوت بمرق اللحم، مضافًا إليه قليل من الشحم والسمن، وتسمى هذه الأكلة (مَخْلُوطَة). وتوضع في أوعية فخارية تسمى (حَوَاسِي)، ومفردها (حيسِيَّة).

وقديُوضَعُ خمير الذرة أقراصًا دون أن يُفَتّ، وإلى جانبه مغاش اللحم، ومفردها (مَغَشْ)، والمغاش مختلفة الأحجام، وأكبرها يتسع لكيلوجرام واحد من اللحم، وأوسطها يتسع ثلاثة أرباع الكيلو من اللحم، وأصغرها يتسع لنصف كيلوجرام، والذي يستعمل في الولائم أكبرها، يضاف إلى ذلك البصل واللبن الرائب، ويطلق عليه في صبيا (قطيبة).

وطريقة صنع اللحم في المغش هي وضع كمية اللحم في المغش، وإضافة قليل من الماء على اللحم تتناسب وكمية اللحم مع قليل من الشحم، لكي تعطيه النكهة مع قليل من الملح والهيل والبصل والثوم. ثم يوضع في التنور، وهو ما نسميه في صبيا (المِيْفَا) لفترة لا تقل عن ثلاث ساعات، ثم يخرج وقد صار اللحم كالزبد لنعومته.

هذه هي المواد التي تتكون منها الوليمة. أما الأرز فقد كانت كمياته الموجودة في السوق ضئيلة جدًا، وكان لا يعتمد عليه كغذاء، وإنما لعلاج حالات الإسهال، وكذلك الفاكهة، فقد كانت غير متوافرة في سوق صبيا، وحتى الموجود منها ضئيل كالموز والعنب لا يوضع على الولائم، والشيء الوحيد الذي يحرص المواطنون على توفيره على ولائمهم هو الأنواع التي ذكرتها آنفًا، وما عداها فتعدّ ثانوية.

وأثناء الأكل يقف رجال وفي أيديهم صحون مليئة بالسمن والعسل، ويطلق عليهم (الْمِشَرِّيَة) ومهمة هؤلاء المشرية ملاحظة القدور، فكلما شاهدوا قِدرًا نقص سمنه وعسله زادوه من ذلك، ويطلق على هذه الوليمة (الْجَبْر).

وقد جرت العادة في الماضي ألا يقوم أي شخص شبع من الطعام قبل أن يشبع الجالسون معه على الوليمة، وعليه أن يظل مكانه حتى يشبع الجميع، ثم يقومون دفعة واحدة، فإذا ما فعل أي شخص وقام بمفرده قبل الجالسين معه فقد أخل بآداب الأكل في نظرهم، وقد يقوم الكثير قبل أن يشبعوا لقيامه، لذلك فإن الجميع يحرصون على الالتزام بهذه العادة، فإذا ما قاموا دفعة واحدة صاحوا بصوت واحد (كَثّر اللهخَيْركم وخَلَفْ عليكم).

ولهذا يسمى (الدِّلع) الذي ينشده الشاعر الشعبي بعد الوليمة «دلع التكثيرة»، وسأورد دلعًا من دلوع التكثيرة بعد هذا ـ إن شاء الله ـ.

وبعد تناول الغداء يأتي دور الضيوف والإعانات التي يقدمونها لصاحب الوليمة فيدفع كل واحد منهم ما يستطيع دفعه حسب إمكانياته، يدفعه إلى شخص يكلف بهذه

المهمة، وعلى هذا الشخص عندما يتسلم أي مبلغ أن يصيح بصوت مسموع فلان كذا، وفلان كذا.

كما يكلف شخص آخر بتسجيل ما يدفعه كل فرد من الضيوف حتى يكون صاحب الوليمة على علم بما دفعه كل فرد من ضيوفه، لأن كل مبلغ يدفع له هو دين عليه سوف يسدد عند حدوث أية مناسبة عند أي فرد ممن أعانوه تستوجب إعانته في المستقبل، ويطلق على هذه العملية (المُوجِبْ) وبعد الانتهاء من دفع الموجب تدق الطبول رقصة دلع التكثيرة.

ولهذا الدِّلع أناشيد خاصة، وتوجد دلوع أخرى لها أناشيد خاصة بها، وهي دلوع الحرب، ودلوع الفكاهة، ودلوع المديح، وسأورد بعض الأمثلة لهذه الدلوع في الفقرة الخاصة بالفلكلور الشعبي ـ إن شاء الله ـ.

ويشترك الضيوف في هذه الرقصة، وتجرى الرقصة داخل البيت ـ إن أمكن ـ، أو خارجه في الشارع، ويلقي الشاعر الشعبي أثناء الرقصة بشعره ويردّده الراقصون معه، وبعد الانتهاء يتفرق الجميع، ويعود الضيوف إلى بيوتهم، ويقوم صاحب الوليمة بمنح الشاعر جائزته على شعره.

وهذا دلع من دلوع التكثيرة للشاعر الشعبي (عيسى العبد) في مناسبة وليمة ختان في بيت الشريف أحمد شريف الخواجي بصبيا:

يالابتي [1] نبّـه [2] عليه هجعـة الـرقود   ششكي على الله ما جرى لي واخبر أمجنود [3]

---

(١) يا قومي.

(٢) أيقظني من نومي.

(٣) عزوة أهل أبو عريش، فإذا انتخى أحدهم قال: «صبي أمجنودة».

الجود ساكن في ولح [1] وتفاهم الأسود — والـخـيـــل وأهـلـهــــا
هو ضيافة يبلغ اسطنبول عِلْمَها[2] — خمسين نَجْدي [3] ذَبَّحَتْ مشهور علمها
حتى الحنادي[4] والنسور ترجى لقسمها — عـــبرة لـمـــن يـشـــوف
البُرّ تسعين كيس من هَلبا[5] وعَسْمَرا[6] — ومَطَرَّح البَابُور أبو فِيْل[7]، المُخَيَّرا [8]

إكرام للشريف

أمـا العسل والسمن تجرى به ثلاث عيون — شُـــلّ الـمِشرَيَـــه[9]
قل للدريسي[10] غارَتَّكْ نبـغي خروجنـا — ولحين سهيل[11] ضرب
غَلَّق علينا البحر في دار الخَوَاجِيَه

عادات الزواج

مما لا شك فيه أن عادات الزواج في صبيا هي العادات نفسها في منطقة جيزان كلها، تَبْدأ بالبحث عن شريكة الحياة، فإذا ما وقع الاختيار على المكان الذي توجد فيه هذه الشريكة المناسبة، بعث الشاب إحدى النساء القريبات له لمشاهدة هذه البنت، فإذا وجدتها مناسبة أشارت عليه بالزواج منها، فيتقدم لخطبتها من ولي أمرها، يرافقه عند الخطبة ولي أمره، وشخصان من أقاربه، أو أصدقائه، أما إذا كانت البنت

---

(1) اسم عريش كبير لأحمد شريف الخواجي.
(2) خبرها.
(3) نسبة إلى نجد، وهي مشهورة بكثرة لحمها.
(4) جمع حداة، وقد نقلت دلع الشاعر طبقًا للهجة الشاعر نفسه ولم أدخل عليه أي تعديل.
(5)، (6) (نوعان من الدقيق.
(7) نوع جيد من الدقيق.
(8) المختار والمنتقى.
(9) المشريه: سبق إيضاح معناها.
(10) رجل من أهل أبوعريش.
(11) سهل: النجم المعروف، ويقول المزارعون: إذا اشتد الخريف وصحبته عواصف رعدية شديدة وصواعق: ضرب سهيل.

التي يرغب في الزواج منها من أقاربه كابنة عمه أو خاله ـ مثلاً ـ فإنه لا بد أن تكون لديه فكرة عنها، فيتقدم لخطبتها مباشرة، فإذا وافق ولي أمر البنت على تزويج هذا الشاب وضعت الشروط على الفور من مهر وحلي وثياب وغير ذلك، فيدفع الشاب المهر في الحال. أما باقي الشروط فتدفع في الوقت المحدد للزواج.

وقد كان الزواج في الماضي بعيدًا عن التكاليف والمظاهر، نتيجةً للوضع المادي الصعب الذي كان يعانيه أغلب المواطنين، فالمهر ـ مثلاً ـ لا يتعدى عشرة ريالات على أكثر تقدير، والمصاغ لا يتعدى خصلتين أو ثلاث من الفضة لا يتجاوز ثمنها أربعين ريالاً، ومن الثياب خمس أو سبع قطع، قد لا تصل قيمتها إلى خمسة عشر ريالاً على الأكثر.

عقد القران يتم حيث يوجد المأذون الشرعي في بيته أو في المسجد، أو في أي مكان آخر، وليس كما هو متبع حاليًا، حيث توجّه الدعوة إلى المأذون الشرعي للحضور مع دفتره إلى وليّ أمر البنت لعقد القران هناك، كما توجّه الدعوة إلى مجموعة كبيرة من أقارب وأصدقاء الجانبين ـ الشاب ووليّ أمر البنت ـ لحضور عقد القران، وتناول طعام العشاء الفخم الذي أعدّ لهذه المناسبة، وقد تؤجل الوليمة إلى غداءٍ في يوم آخر بعد الزواج، وتُقدّم للمدعوين بدلاً من ذلك في ليلة عقد القران الحلوى والمرطبات، كما لم تكن في السابق شبكات كهربائية تتلألأ أنوارها في سماء بيت العروسين. ولا يوجد مسرح منمق يكلف آلاف الريالات لتجلس عليه العروس ليلة عرسها لكي تراها الحاضرات من النساء، ولا ذبائح للنساء المشاركات في الحفل كما هو الحال في هذا الوقت.

كل ما كان في الحفل هو أن تجلس العروس على كرسي خشبي يكون مرتفعًا بعض الشيء عن الأرض لتراها ولو بعض الحاضرات من النساء، وقد لبست بعض الثياب المتواضعة، ومن المصاغ ما تيسر منه كـ«الجودل»، وهي خصلة فضية توضع فوق المرفقين، و«شيلة» من الفضة توضع في الأذنين و«حجلين» من الفضة ـ إن أمكن ـ

يوضعان فوق الكعبين من الرجلين، أما الحفل فيبدأ بقرع الطبول من قبل نساء متخصصات في ضربها، وترتفع الزغاريد، ويغنين بعض النساء أغانٍ خاصة بهذه المناسبة، ويرقصن ويستمر الحفل لمدة ساعتين أو أقل، ثم ينصرفن حتى لا يبقى في بيت العروس إلا أهلها، فتوضع العروس في مكان خاص، ثم يأتي العريس ومعه أمه أو من في مكانة أمه، فتدخله على عروسته ثم تنصرف، ويتم الزواج. وتسمى هذه الليلة ليلة (الدخلة).

أما اليوم فقد تغير الحال نتيجة توافر المادة عند بعض الناس فأغرتهم المظاهر وحب الظهور فزادوا في تكاليف الزواج بصورة أعجزت الكثير من الشباب الذين لا يملكون المادة التي تمكنهم من الوصول إلى ما يطمحون إليه من الحصول على زوجة وبيت يضمهما في سعادة.

وأعتقد أنك ـ أيها القارىء الكريم ـ لست في حاجة إلى أن أشرح لك تكاليف الزواج في صبيا في وقتنا الحاضر، لأن هذه المشكلة لا تعاني منها صبيا وحدها أو تنفرد بها، ولكنها مشكلة مشتركة تعاني منها كثير من المدن والقرى في المملكة، وانعكست آثارها على كل شاب ضئيل الدخل يريد الزواج، ووقفت له عائقًا في طريق زواجه.

ومع ذلك فللحقيقة أقول: إن الواعين من أهل صبيا المدركين للنتائج التي قد تترتب على هذه التكاليف الباهظة والتي حالت دون زواج الشباب والشابات، أخذوا في التخلص من هذه التكاليف، وبدأوا بأنفسهم فخفّضوا منها إلى حد يستطيع معه الشاب حمل التكاليف، فالمهر مثلاً لا يأخذ أحدهم أكثر من خمسة آلاف ريال، ولا يطلب من المصاغ والثياب إلا ما يستطيع الشاب الخاطب احتماله، واستبعدوا الكثير من التكاليف التي تُرهق كاهل الزوج، ولا تُفيد الزوجة في شيء، وأخذوا يحثون الآخرين على الاقتداء بهم، ويفهمونهم أن أي تخفيض في التكاليف هو لصالح شبابنا جميعًا. وقد كان لعملهم وتوجيههم هذا أثره الطيب على بعض المواطنين ممن أدركوا أن الزواج ليس مجالاً للبيع والشراء أو للطمع وإملاء الشروط، فأخذوا يخفضون من التكاليف بصورة ساعدت بعض الشباب على الحصول على زوجات.

ليلة الشدود:

يطلق على ليلة انتقال الزوجة إلى بيت زوجها (ليلة الشدود)، وقد جرت العادة في صبيا أن يستعد أهل الزوج بالحلوى والقهوة والشاي والطيب لإكرام العروس ورفيقاتها عند وصولهن إلى بيت الزوج، أما في بيت العروس فيتجمعن بعض نساء الحي من الأقارب والمجاورين لمرافقة العروس إلى بيت زوجها، وفي هذه الليلة تتزين العروس بما لديها من ملبس ومصاغ وطيب، فإذا كان بيت الزوج قريبًا من بيت الزوجة تذهب العروس ورفيقاتها مشيًا على الأقدام، أما إذا كان بيت الزوج بعيدًا كأن يكون في مدينة أو قرية خارج مقر الزوجة فإن الزوجة تُحْمَلُ على جمل داخل هودج، ويرافقها زوجها. وفي الحالة الأولى فإن الزوجة ورفيقاتها عندما تصل إلى مقربة من باب دار زوجها فإنه يستقبلها زوجها ووالده فيمدان اللحاف في الأرض أمام الزوجة، ويقول والده مُرَحِّبًا بزوجة ولده ورفيقاتها:

أرحبوا على الرأس والعين	أرحبوا على عدد حبات المطر
أرحبوا على عدد التراب	أرحبوا من محل ما جئتم حتى هنا

وعلى الرغم من قرب باب الدار فان الزوجة تتأخر عن الدخول بعض الوقت، لأنها كلما تقدمت إلى الباب خطوة أرجعتها المرافقات لها أربع خطوات إلى الوراء، وهكذا حتى تدخل البيت بعد مضي بعض الوقت، وفي ليلة الشدود لا يرافقها أحد من أهلها، ويتم ذلك بعد مضي وقت قصير، ذلك في الماضى أما في الوقت الحاضر فقد توافرت السيارات في أكثر البيوت من المدينة والقرية على حد سواء، فلا داعي للسير على الأقدام، ولا ركوب الجمل.

العادات في رمضان

من المعلوم أن وسائل الاتصالات السريعة التي نشاهدها اليوم، ونتمتع بفوائدها، لم تكن موجودة من قبل حتى نعتمد عليها في إيصال الخبر،

لذلك فإن أهل صبيا كانوا في الماضي يعتمدون في صومهم لشهر رمضان المبارك على الرؤية المباشرة للهلال في صبيا - إنْ أمكنت الرؤية - وإلا فإنهم يعتمدون على ما يتلقونه من جيزان قاعدة المنطقة، سواء على ما تطلقه المدفعية من طلقات إيذانًا بحلول شهر رمضان، أو ما تبعثه إمارة جيزان كتابيًا لإمارة صبيا بواسطة إحدى سياراتها، أو بواسطة شخص يكلف بحمل الخبر ويطلق على هذا الشخص اسم (نجّاب)، وهو عبارة عن حامل بريد.

وأهالي صبيا يستبشرون بقدوم شهر رمضان، ويفرحون به، لأنه شهر النفحات الربانية، وشهر الخير والبركات والرحمة، ويسارعون في مساء أول يوم من الشهر إلى زيارة أقاربهم، ويقدمون لهم التهاني والتبريكات بحلوله، وبالرغم من ضنك العيش الذي كان يعاني منه كثير من المواطنين في صبيا في الماضي، فإنهم كانوا يحرصون كل الحرص على ألا يدخل عليهم هذا الشهر الكريم إلا وقد أدخلوا بعض الإصلاحات على بيوتهم، لأنهم يعلمونْ أن شهر رمضان هو فرصة سعيدة ومناسبة يستغلها أقاربهم لزيارتهم فيها، فصاحب (العشّة) يقوم بتجديد تلييس (دهن) داخل عشته بالطين وروث البقر، كما يجدد تلييس عرصاتها من الداخل والخارج، وصاحب البيت الشعبي يعيد تجديد بيته باستعمال (الجصّ)، وهو يقوم مقام الأسمنت حاليًا، ويبيّضها بمادة يطلق عليها اسم (نورة)، ثم يجدد عرصاتها من الداخل والخارج.

وقد كانت صبيا إلى وقت قريب لا توجد فيها الكهرباء ولا الثلاجات لتبريد الماء، لذلك فإن أهل صبيا كانوا يبرِّدون الماء لشربه عند الإفطار في مغرب كل يوم من رمضان بوسائلهم المحلية، حيث كانوا يستعملون أوعية فخارية يطلق عليها (شِراب)، ويطلق عليها - أيضًا - (رجابي) ومفردها (شربة)، و(رجيبة). فتقوم ربة البيت بوضع بخور في الرجيبة من مادة يطلق عليها (مستكا)، ثم تملؤها بالماء وتضع فيها حبات من فَلّ صبيا لتُعطي الماء نكهة طيبة، ثم تضعها في الظل معرضة للهواء، فلا يحين موعد الإفطار إلا وقد اكتسبت بعض البرودة التي يجد فيها الصائم ما يطفىء ظمأه ويروى غليله، وكان أهل صبيا في الماضي لا يستعملون الكؤوس لشرب الماء، بل كانوا

يستعملون صِحافًا منجورة من الخشب يطلونها بالقطران الأسود، ثم يعرضونها للشمس حتى تجفّ، ثم يشربون فيها فيجد الشارب لذة للماء في هذه الصحاف ويحتفظون بها في بيوتهم إلى الآن، وذلك من قبيل المحافظة على جانب من تراثهم.

وكان أهل صبيا في الماضي قبل إدخال الكهرباء، وقبل توافر وسائل الترفيه الحالية كالتليفزيون والراديو والفيديو ينامون مبكرين في رمضان، ولا يستيقظون لتناول السحور إلا على صوت طبل المسحراتي وهو يقرعه ويصيح بأعلى صوته قائلاً:

سحورك يا صائم.. سحورك يا صائم.. وحّد الله يا نائم.. يا نائم.

ويرددها في كل شارع من شوارع صبيا، فيستيقظ الناس ليتسحروا.

وحتى الأطفال الذين هم في سن الثامنة فما دون، كانت لهم عادة في شهر رمضان، فقد كانوا بعد عصر كل يوم من أيام رمضان يخرجون في مجموعات في الشوارع حول أبواب بيوتهم فيتجمع الأربعة أو الخمسة منهم ومثلهم من البنات ـ وقد يقلّ العدد أو يكثر عن ذلك ـ ومعهم (زنابيل) صغيرة مصنوعة من (الخوص) وهو شبيه بخوص النخل يطلق عليه في صبيا (طفي)، والزنابيل متعددة الألوان، لأنها تصبغ بصبغة خاصة، ويوضع في كل زنبيل قليل من رقائق خميرة الذرة أو ما يسمونه في صبيا (لحوح)، ومع كل طفل وطفلة (رجبية) صغيرة مليئة بالماء المبخر بـ(المستكا) ـ وقد ذكرت كيفية إعداد هذا الماء آنفًا ـ فيعلقون الزنابيل بأعواد حوائط البيوت المبنية بالأخشاب والقش، ويطلق عليها (زروب) ومفردها (زرب)، ومع كل بنت (جبنة) صغيرة، وهي وعاء فخاري مختلف الأحجام تصنع فيه القهوة العربية في صبيا، ويقوم مقام الدّلة، والثلاجة حاليًا، أما الصغار من هذه الجِبَانُ فهي مجرد لُعَب للأطفال يملؤونها بالماء، كما تُحْضِر كلّ بنت معها مطحنة صغيرة تستطيع حملها مع حجر صغير مخروطي الشكل يطلق عليه (وديالمطحنة).

وهذا الحجر ـ أيضًا ـ مختلف الأحجام، والكبير منه يستخدم لطحن حبوب الذرة أو أي حبوب أخرى، كالبن ـ مثلاً ـ. فتضع البنت حبيبات من الذرة أو البن

على مطحنتها الصغيرة، ثم تهرسه بالودي، وليس المهم لدى البنات أن يطحنّ، لكن المهم لديهنّ أن يغنين على الصوت الذي يحدثه الودي عندما تضرب به المطحنة، وللأسف فإنني لم أحصل على الكثير من أناشيدهن، نظرًا لتلاشي هذه العادة وضياع الأناشيد ـ مع مرور الوقت ـ على من يحفظونها، ومما حصلت عليه قولهن:

يا شمس اغـربي لا تغـربـنش خلي الـصـائـمـين لا يفـطرنش

ومعناه، أن البنات يطلبون من الشمس في أول الأمر أن تغرب لكي يفطر الصائمون بعد صيام يوم طويل، لكنهن أدركن أن غروب الشمس يعني حلول الظلام وانقطاع اللعب عليهن، فيطلبن من الشمس ألا تغرب وتظل مشرقة على أفق صبيا حتى يطول وقت لعبهن!! هذا بالنسبة للبنات، أما الأطفال الذكور فلا يشتركون في الطحين ولا في الغناء، ولكن يتفرجون ويلعبون بما معهم من اللحوح والماء، ثم يعودون إلى بيوتهم جميعًا فور آذان المغرب. ومما لا شك فيه أن لوجود التليفزيون في عصرنا الحاضر أثره المباشر وإسهاماته الفعالة في تلاشي هذه العادة.

الأكلات في رمضان

(١) **وجبة الإفطار**: كان أكثر الناس في صبيا فيما مضي يعانون من سوء الحالة المادية، فعاشوا في ضيق من العيش، لذلك فإن وجبة الإفطار عند الفقير لا تتعدى حبات من التمر أو أقراص الخبز المصنوعة من خمير الذرة وصحن (القطيبة) ـ اللبن الرائب ـ. فإذا ما تيسر له في يوم من الأيام مفش اللحم أو قليل من السمك فذلك مزيدُ فضلٍ من الله، وهذه الأكلة هي فطور الفقير وعشاؤه لأنه لن يجد وجبة غيرها بعد صلاة التراويح إلى أن يحين وقت السحور.

أما الذين في حالة مادية حسنة فإن وجبة الإفطار عندهم تضم العديد من المأكولات منها التمر وخبز خمير الذرة أو (اللحوح) وهو رقائق خمير الذرة، والشورية المصنوعة من حبوب القمح واللحم، ومفش اللحم، والمهلبية، والمطبّق، والسنبوسك، كان ذلك في الماضي.

أمـا اليوم فقد تحسن الوضع المادي تحسنًا كبيراً في صبيا وفي غيرها من أرجاء المملكة ـ والحمد لله ـ، فأصبح المواطن يستطيع شراء كلّ ما يحتاج إليه، وأصبحت وجبة الإفطار عنده تضم أصنافًا عديدة من المأكولات والمشروبات، فمن المأكولات: التمر، والخبز، واللحم، والسمك، والمهلبية، والمطبق، والسنبوسك، بالإضافة إلى أصنـاف الفـاكهـة المتعددة، ومن المشروبات: عصير البرتقال، والرّمّان، والمانجو، وشراب «الفيمتو» وغير ذلك. بالإضافة إلى الماء النظيف المثلج . . فلله الحمد والشكر.

(٢) **وجبة العشاء:** ووقت هذه الوجبة بعد صلاة التراويح، والأكلة الشعبية المفضلة عند المواطن في صبيا هي (المرسة) أو(المريسة)، والمرسة تصنع من خبز الدقيق الأبيض أو دقيق الحنطة (القمح)، يفتّ هذا الخبز فتًّا جيدًا، ويضاف إليه الموز والعســل أو السكـر في حالـة عدم وجـود العسل، كما يضاف إليه سمن البقر الخـالص، فإذا وضع على المرسة أي سمن غير سمن البقر الخالص فإن طعم المـرسة لا يكون له أية لذة، وإلى جانب المرسة يوضع السمك المالح، ومفش اللحم، وقد سبق أن تحدثت عن المفش وعن كيفية صنع اللحم فيه، كما يوضع إلى جانب المرسة خمير الذرة والقطيبة، وفي وقتنا الحالي أصبح الأرز غذاءً رئيسيًّا لكل مواطن في المدينة والقرية على حد سواء، لذلك فإن كبسة الأرز باللحم تُقدّم في وجبة العشاء في رمضان إلى جانب الأصناف الأخرى. وفي غير رمضان من أيام السنـة فإن المرسة تُقدّم في وجبة الغداء، أما الأرز فيقدم في الغداء أو في العشاء، فهو يؤكل في الحالتين كليهما.

(٣) **وجبـة السحـور:** غالبًا ما تكون وجبة السحور عند عامة الناس في صبيا ـ في الماضي ـ من الحليب وخبز الذرة الحلو الذي لا توضع عليه خميرة، فيوضع الحليب على النار حتى يغلي، ثم يفتّ الخبز بالحليب، ويوضع عليه السكر. وتسمى هذه الأكلة (ثريث).

و توجد طريقة أخرى، وهي غلي الحليب على النار، وتعجن كمية بقدر الحاجة من الدقيق الأبيض أودقيق القمح، وتوضع هذه العجينة في الحليب، وهو لايزال على

النار، وتكون على شكل قطع صغيرة كما يفعل بائع الزلابية، ويوضع عليها السكر، ثم تحرك قطع العجين مع السكر في الحليب على النار حتى تنضج العجينة وتختلط بالحليب، وتسمى هذه الأكلة (مفالت).

وقد كان أهل صبيا في الماضي يستعملون حليب البقر وحليب الإبل، لكن أكثرهم اليوم يستعمل أنواعًا مختلفة من الحليب «المبستر» المتوافر في الأسواق بكثرة، وبأرخص الأثمان، بل إن بعض الناس في صبيا حاليًا يكتفون بلقيمات من كبسة الأرز باللحم لخفة الأرز على المعدة أو بصحن من المهلبية يستعين به على صيام يومه.

العيد ومظاهر الأفراح

لقد سبق أن تحدثت عن الوسيلة التي كان يصل بها الخبر إلى مواطني صبيا عند دخول شهر رمضان المبارك، وهذه الوسيلة هي نفسها التي يصل بها الخبر إلى أهل صبيا بحلول عيدالفطر في الماضي، وأهل صبيا يفرحون بقدوم العيد لأنه مناسبة إسلامية كريمة، ويستعدون له كل في حدود إمكانياته المادية، من حيث تنظيف البيوت وتجديد الفرش وتجميلها بالزهور، وتوفير بعض الأطعمة والحلوى لأطفالهم في مناسبة العيد، وبالرغم من أن أكثر أهل صبيا كانوا في الماضي فقراء إلا أن الآباء كانوا يحرصون كل الحرص على أن يوفروا لأطفالهم بنين وبنات ما يدخل عليهم الفرحة والسعادة في يوم العيد من ملابس جديدة، ومستلزمات أخرى تتطلبها المناسبة حتى لا يخرجوا أطفالهم في يوم العيد في مظهر لا يشعرون معه بالسعادة، وهم يرون الأطفال الآخرين في مظهر أحسن منهم.

والواقع أن مظاهر الأفراح في يوم العيد تبدو جليّة عند الأطفال أكثر منها عند الكبار، فترى الأطفال من البنين يسيرون في الشوارع في مجموعات بملابسهم الجديدة المتنوعة، وقد بدت الفرحة والسعادة على وجوههم، فهم يمرحون ويضحكون، ويفاخر كل واحد منهم زميله بلباسه، ويدخلون البيوت في مجموعات للتهنئة بالعيد، كما ترى البنات الصغار وقد تزينّ بما لديهنّ من ملابس زاهية وحلي. وقد بدت

شعورهن في أوضاع مختلفة، فمنها: المعقود على شكل ضفائر، ومنها المنثور على الأكتاف والظهور، تغطي رؤسهن جدايل الفلّ وعذوق الكادي، كما ترى جدايل الفل وقد أحاطت بأعناقهن كالقلائد وعلى الصدور منهنّ، وفي كل قرط من الأذن، كما يبدو الخضاب على أكفهن وقد نقش نقشًا فنيًّا وتراهنّ يتجولن في الشوارع يُغنين ويرقصن ويصفقن ويدخلن البيوت للتهنئة بالعيد في براءة، والبسمة على محيا كل واحدة منهن فيجلبن معهن البهجة والسرور إلى كل بيت يدخلنه وبعد المعايدة (التهنئة بالعيد)، يتجه الكثير من الأطفال - بنين وبنات - إلى ممارسة لعبتهم المفضلة، وهي ركوب «المرجيحة» وتسمى في صبيا (مدريهة)، فيلعبون عليها، ثم يعودون إلى البيوت، وهكذا طيلة أيام العيد.

أما بالنسبة للكبار من أهل صبيا فإنهم حريصون حرصًا شديدًا على التمسك بعاداتهم الحسنة الموروثة عن الآباء والأجداد فيما يتعلق بزيارة الأقارب والأصدقاء في المناسبات ومنها مناسبة العيد. حيث يسارع الواحد منهم بعد صلاة العيد وتناول طعام الإفطار إلى زيارة أقاربه وأصدقائه لتهنئتهم بالعيد السعيد.

أما لباس أهل صبيا في الماضي، فيمكن تصنيفه إلى نوعين كما يلي:

(١) **الشباب**: ويتكون لباسهم من «المئزر»، ويكون عادة من نوع خاص من القماش المستورد من اليمن، ويسمى هذا القماش (حوكي) أو (دريهمي)، ويطلق على المئزر من هذا القماش (مصنف)، (السديرية)، وتكون عادة من قماش ملون ولّماع، ويطلق عليها (متان).

وبما أن أكثر الشباب في صبيا في الماضي كان لا يحلق شعر رأسه فهو يربي شعر رأسه حتى يتدلّى على الأكتاف، ويطلق على هذا الشعر الطويل (جهفة)، وكان يحافظ عليه ويدهنه بالسمن وزيت السمسم، حتى يبقى سلسًا، ولكي يتخلص من الرائحة غير المستحبة التي يخلفها السمن والزيت كان يدهن شعره بسائل (القطران) الخفيف، ويطلق عليه في صبيا (شوب). وهو يستقطر في صبيا من خشب الأثل. وعمله أنه

يقضي على الرائحة، كما يقضي في الوقت نفسه على الحشرات الصغيرة التي تتولد في الشعر. وتسمى هذه الحشرات في صبيا (القمل)، وهذه الحشرة تسبب حساسية في الرأس، فترى صاحب الجهفة يحك على الدوام شعر رأسه، فإذا ما استعمل هذا السائل ذهبت عنه الحساسية، لأنه يزيلها بالقضاء على الحشرة نفسها.

(٢) **مرحلة ما بين الشباب والشيخوخة**: وأعتقد أنه يطلق على هذه المرحلة «كهل»، ولباسهم المئزر الأبيض، وقماش سميك يستر العورة، والسديرية البيضاء، أو الكوت وتحته الفلينة وكوفية مصنوعة من الخيزران. واللحاف على الكتف أو الشال على الرأس وهذا اللباس يستعمله كبار السن ويلبس البعض القمصان البيض والعمائم.

وجبة الافطار يوم العيد:

وجبة الإفطار في يوم العيد هي «المرسة» والسمك المالح وخميرة الذرة، ورفش اللحم، وهذه عادة موروثة حافظ عليها غنيهم وفقيرهم في الماضي، ومازالت إلى اليوم.

وهذه الأصناف من الطعام هي نفسها التي تقدّم في وجبة الغداء في الماضي، وقد أُضيف إلى ذلك في الحاضر وجبة «كبسة الأرز باللحم»، بعد أن أصبح الأرز غذاء رئيسيًّا لا غنى لأي بيت عنه في المدينة والقرية على حد سواء.

التدريه

يطلق أهل صبيا على المرجيحة التي يلعب بها الأطفال اسم (مدريهة)، ومن هذا المصطلح المحلي اشتقت كلمة «التدريه»، فإذا ما لعب الطفل على المرجيحة أو ما تسمى في صبيا «المدريهة» وأطال اللعب قال له والده: كفاية إلى متى هذا التدريه أو إلى متى هذه «الدّرهة»؟ وإذا ما وضعت الأم طفلها في الحنتول (المندول) وحركة الحنتول إلى الأمام وإلى الخلف كما يفعل راكب المرجيحة لكي ينام الطفل، قالوا: إن

الأم تدرّه بطفلها أو ترجح بطفلها، وكلمة ترجح أعتقد أنها مشتقة من كلمة «مرجيحة» مع تحريف فيها، والصحة تمرجح بطفلها، ثم أطلق على الأنشودة التي تنشدها الأم على طفلها وهو في الحنتول اسم (التدريه) فإذا ما أنشدت الأم على طفلها وهو في الحنتول قالوا تدره، وللأمهات أناشيد خاصة على أطفالهنّ في الحناتيل.

وتختلف أنشودة الطفل عن أنشودة الطفلة، ومن أناشيد أم الطفلة على طفلتها في الحنتول ما يلي:

أنـــا فدا أم الهـــاني	أنـــا فدا أم الهـــاني
أشـــاك يا أم الهـــاني	لعـــقـــبـــة الـــزمـــان
ليوم الـــشـــيب شنـــى	وكـــل ما يشـــاني

إنها تكني ابنتها بأم الهاني، وهي كلمات شعبية موجزة، لكنها في الواقع تُعبّر تعبيراً واضحًا، عن آمال هذه الأم في طفلتها الصغيرة عندما تكبر. وقد أصبحت أمها عجوزاً شمطاء ثقيلة الظل، مكروهة عند كل أفراد أسرتها، طريحة الفراش لا تغادره لعجزها عن القيام، فهي في هذه السن في أمس الحاجة إلى مساعدة ابنتها وهي دون شك لن تجد في شيخوختها من يقوم على خدمتها غير بنتها، فهي أنثى مثلها، وتستطيع أن تقدم لها من الخدمات كل ما تحتاج إليه دونما حرج، أما الولد الذكر فمهما كان برّه بأمّه فإن مهمته في مساعدة أمه محدودة، لذلك فهي تخاطب ابنتها الطفلة قائلة:

أشـــاك يا أم الهـــاني	لعـــقـــبـــة الـــزمـــان
ليوم الـــشـــيب يشـــنـــى	وكـــل ما يشـــاني

والشيب عند النساء شيء غير مرغوب فيه، أما أنشودة الطفل فإنها تختلف عن أنشودتها عن الطفلة، فهي تقول:

ولـــدي أنـــا فدا له ولـــدي أنـــا فدا له ولـــدي المنسب خالــه
ما في الــرجـال مثالــه ولـــدي سرى يســاقي رَوَّحْ ما خلى باقـــي
ولـــدي أنـــا فدا له ولـــدي المنسب خالــه

والفرق واضح بين أنشودة أم الطفلة التي تعبر عن آمالها في طفلتها الصغيرة التي ترجو أن تكون عونًا لها ـ بعد الله ـ في شيخوختها، وبين أنشودة أم الطفل التي تتكلم بصيغة الماضي عن ابنها، فتقول: إنه سري يساقي، أي يسقي أرضهم الزراعية عندما يأتي السيل ليلاً، وأنه ما ترك أرضًا من أرضهم دون ريّ أو رجع إلى البيت قبل أن تروى جميعها، وأنه وحيد في الرجال، ولا يوجد مثله.

وليس غريبًا أن يكون كذلك فخاله صاحب الحسب والنسب، والمثل يقول: «الخال والد» ومن أناشيد أم الطفل كذلك قولها:

ولدي أرقد الله يهديك ويسـقـيك ويعــافـيك
ويطــرح الــبــركــة فـيــك

وقد بدأت هذه العادة في الاختفاء بعد أن أصبحت أكثر الأمهات متعلمات في عصرنا الحاضر، فاختفت هذه الظاهرة أو تلك العادة.

العادات في الحج

من المعلوم أن طريق الحاج إلى مكة المكرمة قبل العهد السعودي كان يسوده الخوف، فالأمن غير مستتب وقُطّاع الطرق يعيثون في الأرض فسادًا. وكان حجاج صبيا معرضين للاعتداء على حياتهم ومعرضين للسلب والنهب من قطاع الطرق، لذلك كانوا يحجون في مجموعات، وكانت وسيلة النقل في الماضي الجمال والحمير، وكان كل حاج يحمل معه زاده وماءه وكفنه ومسحاته، وبعض مستلزمات حفر القبر استعدادًا فيما لو

قدر الله على الحاج الوفاة أو القتل بالاعتداء عليه من قبل قطاع الطرق، وكان لا يخرج من بيته إلا وقد أوصى أولاده بماله، وما عليه، لأنه لا يدري أيعود إلى أولاده أم لا يعود! ! وكان إذا حج وعاد سالمًا فإنه قبل أن يصل إلى صبيا بمسافة ثمانين كيلومترًا على الأقل كأن يكون في (الدرب، درب بني شعبة) ـ مثلاً ـ فإنه يبعث رسولاً إلى أهله يبشرهم بقرب وصوله، فإذا وصل الرسول وبشر أولاده بقرب وصوله ارتفعت الأصوات بالزغاريد من أهل بيته وأقاربه، وانهالت الدراهم على البشير فرحًا بقرب قدوم غائبهم.

ليلة الوداع

من العادة في صبيا في الماضي أن يقيم أهل الحاج إلى بيت الله الحرام أثناء غيابه حفلاً نسائيًا يقام في دارهم بعد صلاة العشاء يطلق عليه (ليلة الوداع) وفي هذه الليلة يستعدون بالحلوى والقهوة والشاي والفصفص، وتسمى في صبيا ومنطقة جيزان (الزعقا) كما يقدمون الطيب، وفي الليلة المحددة للحفل يجتمع النساء المدعوات في بيت أهل الحاج.

وتكون هناك شاعرة شعبية قد أعدت شعرًا لهذه المناسبة تذكر فيه محاسن الحاج وشجاعته وكرمه، ثم تمدح أفراد أسرته وخاصة زوجته وبناته، فتصف كل واحدة منهن بما يحلو لها من أوصاف، وتكتب هذا الشعر في ورقة وتعطي الورقة إلى امرأة تجيد القراءة إلى جانب حسن صوتها، ومتخصصة في الإنشاد في هذه المناسبة، فتجلس هذه المرأة في وسط النساء وتبدأ في الإنشاد فتردد النساء معها ذلك النشيد حتى النهاية.

يوم تحبيل القعادة

ومن العادة في صبيا ـ أيضًا ـ عند قرب عودة الحاج أن يخصص يوم لتحبيل القعادة يطلق عليه (يوم تحبيل القعادة)، وأهل الحاج هم الذين يحدّدون هذا اليوم، وفي اليوم المحدّد لتحبيل القعادة يحضر الرجل المتخصص في تحبيل القعايد[1] ومن العادة أن يكون هذا الرجل من كبار السن، ومن أهل الحي الذي يقطن فيه الحاج.

(١) جمع قعادة.

ومعنى تجبيل القعادة هو تغيير حبالها القديمة المصنوعة من خوص يطلق عليه (طفي)، وهو شبيه بخوص النخل، بحبال جديدة، والقعادة هي سرير من الخشب، والنوم على هذه القعادة مريح جدًّا أكثر من النوم على السرر الحديثة، وفور بدء الرجل بالتحبيل يقمن نساء متخصصات بضرب الدفوف، وترتفع الأصوات بالزغاريد، وتنهال الدراهم على الرجل الذي يقوم بتحبيل القعادة.

وهذا اليوم يوم مغنم عند هذا الرجل، لأنه يجمع من الدراهم في هذا اليوم ما لا يجمعه في عدة شهور من تحبيله العادي، أي في غير الحج، ويطلق على هذه العملية (نقط) وبعد الانتهاء من تحبيل القعادة يضعون عليها الأشواك حتى لا يجلس عليها أحد قبل الحاج، فإذا دخل الحاج كان هو أول من يجلس عليها.

وقد استمرت هذه العادة إلى عهد قريب، ولأنها مجرد عادة لا دوافع لها كالدوافع السابقة أي الخوف على حياة الحاج، حيث كانت تُقام الأفراح والحفلات ابتهاجًا بعودة الحاج سالمًا، إلا أن الوضع في حاضرنا قد تغير، فالأمن ـ والحمد لله ـ مستتب في سائر أنحاء المملكة، وليس في طريق الحاج إلى مكة المكرمة أي شعور بالخوف، كما أن وسائل النقل السريعة كالطيارة والسيارة حلّت محل وسائل النقل السابقة، مثل الحمير والجمال. لذلك كله فقد اختفت هذه العادة.

والحج ميسر لكل مسلم على هذه الكرة الأرضية، أما الحاج من صبيا أو من أية مدينة أو قرية سعودية فإنه يشعر أنه ذاهب إلى نزهة، سواءً حج عن طريق البر أو عن طريق الجو، لما يتوافر له من أسباب الراحة، إذ أصبح الحاج ليس في حاجة إلى أن يحمل معه أي شيء غير بعض النقود التي يحتاج إليها لمعيشته في أيام حجه. المعدودة، ثم يعود إلى أهله وبيته في خير حال. كل ذلك بفضل الله ـ تعالى ـ ثم بفضل ما وفرته حكومتنا الرشيدة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود من وسائل الأمن والراحة لحجاج بيت الله الحرام.

الفصل التاسع

الفولكلور الشعبي في صبيا وأنواعه

(١) السَّيـــف: إن رقصة السيف تُؤدّى في حركات سريعة، وتعتمد على إيقاعات الطبول، ولا تحتاج إلى مكان واسع للرقص، ويمكن أن تؤدَّى الرقصة في الساحة الموجودة داخل البيت، لأنها تؤدَّى بطريقة المقابلة بين شخصين لفترة قصيرة، ثم يتقابل غيرهما، وهكذا حتى تنتهي المدة المحددة لهذه الرقصة، وهي لا تتعدى الساعة إلا ربعا على الأكثر ورقصة السَّيْف تؤدَّى في حركات صامتة، أي بغير أناشيد.

(٢) العَـرْضَـةْ: تؤدى رقصة العـرضـة في ميدان فسيح خارج المـدينة أو القرية، ويعتمـد الـرقص فيها على إيقاعات الطبول، والراقصون يرقصون في صفوف طويلة ومنتظمة، وحركات العرضة تختلف عن رقصة السَّيْف لأنها أثقل من رقصة السيف، ورقصة العرضة لا أناشيد لها.

(٣) العَـزَاوي: إن رقصة العَزَاوي رقصة رشيقة، وحركاتها سريعة، ولا يؤديها إلا الشباب فيما دون الثلاثين سنة لأنها تعتمد على مرونة عصب الشاب وقدرته على الرقص، ولأنها تُؤدَّى على إيقاعات الطبول في صور مختلفة، فترى الشاب يرقص وهو قائم، ويرقص وهو منحني الظهر، ويرقص وهو جالس على قدميه، والأطفال فيما دون الخامسة عشرة يؤدونها في رشاقة فائقة وسهولة. أما الكبار الذين تجاوزوا مرحلة الشباب فقد يؤدونها، ولكن بدون رشاقة!! وفي تكلّف يظهر في حركاتهم، ورقصة العَزَاوي لا أناشيد لها.

(٤) **الدِّلْــعْ**: ينقسم إلى خمسة أنواع:

● الأول:

●● دلع الختان: ويؤدي عند الانتقال من بيت صاحب الختان بعد أداء رقصة السَّيْف إلى ميدان العَرْضَة، وعند العودة إلى البيت بعد انتهاء العَرْضَة في مساء اليوم الأول قبل الختان، وفي صباح يوم الختان يعد «دلع واحد» ولا أناشيد لهذا الدلع.

● الثانــي:

●● دِلْع التَّكْثِيرَة: وسأتحدث عن هذا الدلع وأورد واحدًا من هذه الدلوع في الحديث الآتي.

● الثالــث:

●● دلع المَدْح وطلب النَّوال: وهذا النوع من الدلوع قد يؤدى أمام الممدوح بدون قرع الطبـول، وقد يناوله في ورقة مكتوبة الشاعر نفسه، وهذا واحد من هذه الدلوع للشاعر الشعبي عبدالله السلامي، والدِّلع موجّه أصلاً إلى الشيخ عبده صعدي وهو من الشخصيات البارزة في مدينة أبو عريش، ويتضح ذلك من الرد الذي يلي الدِّلع حيث طلب النَّوال منه، وهذا هو الدلع:

مني سلام الله عليك يا قَصْرْ عالي   قَصْرْ تحميه الــرجــال من كل جال[1]
شامــخ الأركــان وفي الـبـنْيَة هِلالي[2]   من عـمــارة قــوم عــاد

(١) من كل جانب.

(٢) كأنه من مباني بني هلال.

يا صَفِي[1] لو كنت تنظر قَصْرَكَ المَشِيد   جات[2] له عَمَارَة[3] تصنعه من زبرالحديد
عِبْرَة لمن يراه
والوجيه[4] عبده على السَّطح مُقَابِل[5]   وترى الأعيان من برا[6] وداخل
ومقاديم[7] أجنود[8]
فيه أربعين نُوتة[9] عليها الشبك[10] مُشْتَغِل
صَنَّاعَها قوي
والرُّتَب[11] تسعة آلاف من غير المَقَادِمَة[12]

وهذا هو ردّ الشاعر نفسه على دلعه:
لابتي:[13] نَبَّهْتُ في سود الليالي   قُمْتُ مرعوب الفُؤَاد تعبان حالي

(١) صفي: كنية تطلق على كل من يسمى (أحمد)، وهذه الكنية وردت أصلاً من اليمن الشمالي، وبالذات من (الحديدة). و(بيت الفقيه). فهم يقولون أو بالأصح يسمون أحمد «الصُفي». ويسمون عبده «الوجيه». ويسمون محمد «العِزّي». ويسمون إبراهيم «الخليل». ويسمون علي «الجَمَالِي». ويسمون يحيى «العِمَاد». ويسمون عبدالله «الفَخْري». ويسمون حسن «الشَّرَفِي». كما يقولون لمحمد: «البدر». ويقولون لإبراهيم «الخليل» - أيضًا - «الصَّارِمْ». وقد تلقفها بعض المواطنين في مدينة جيزان، وفي صبيا، وأبو عريش، أما خارج هذه المدن فلا تستعمل هذه الكنية.

(٢) جاءت.

(٣) بناؤون.

(٤) كنية لاسم عبده، كما أوضحت أعلاه.

(٥) جالس ينظر.

(٦) من خارج.

(٧) مشايخ.

(٨) عزوة أهل أبوعريش، فإذا انتخى أحدهم قال صبي أجْنُود.

(٩) الفتحات التي توجد في القلاع الحربية لإطلاق النار منها على العدو المهاجم.

(١٠) سياج حديد.

(١١) الحرس.

(١٢) رؤساء الحرس.

(١٣) قومي.

قال عَجِّلْ شِلٌّ [1] بيتك والعيال وانتقل هذه البلاد

تِنْسَى التَّعَب كله ويمسي حالكم رشيد عند الوجيه راعي الكرم يُعطيك ما تريد

تِلْقَى المباشرة

يا وجيه [2] جيتك ومثلك شيخ عاقل يعرف المحتاج من أهل العوايل

حالتي أمست نكود [3]

وذي بِكِسْوَة لو تِكلِّفها [4] مئة ريال بالتاجرالهوي [5] واربع مَعَاوِدْ [6] من معالي [7] زرب [8] حاكمه [9]

- الرابع :

الدلوع الفكاهية، وهذان اثنان منها، وهما للشاعر الشعبي محسن مشاري، وأودّ أولاً أن أشرح موضوع الدِّلع الأول منهما وهو أن شخصًا اسمه (عيسى) جمع مبلغًا من المال مقداره أربعمائة ريال وأعطاها لصديق اسمه (باعشن) وطلب منه أن يشتري له بعض السلع من (عَدَنْ)، حيث يشتري التاجر المذكور بضاعته من هنالك، ويحملها بالسنبوك بحرًا إلى مدينة جيزان، واشترى له صاحبه بالفعل حاجته وعند عودة السنبوك إلى جيزان محمّلاً بالبضاعة تعرض لحادث بحري أدّى إلى غرقه بما فيه من بضائع، فنظم الشاعر هذا الدِّلع، ومنه يتضح أن المقصود الفكاهة فقط. وهذ هو الدِّلع الأول من الفكاهة.

---

(١) شِل: خذ.

(٢) كنية تطلق على اسم عبده.

(٣) حالته أمست نَكَدْ.

(٤) تبلغ قيمتها مائة ريال.

(٥) يهوى المكارم.

(٦) المعاوِدَ: جمع مُعاد.. ويساوي المعاد (٣٦٠٠م٢).

(٧) أي شرق، وبعض أهل منطقة جيزان يقولون للجهة الشرقية: «الجهة العليا».

(٨) حائط من الخشب والقش.

(٩) «حاكمه»: قرية تقع في الشمال الشرقي من مدينة أبو عريش، وأرضها زراعية من أجود أراضي المنطقة وأخصبها، وتشرب من مياه وادي جيزان حاليًا.

يالابـتـى [1] فأنـا أراني في خسـاره مَا مَعَـايهْ [2] حظ قايم في التَّجـاره
قد جمعت المـال هذا بالـفْجَـاره [3] كـل يـوم سبعـين يـمـين
أربعـمائـة جَمَّعْتهـا بالكـذب والحِيَل ظَنَّيت أني في غنى وتْـوَسَّـع الحـال
أحْرَمْتُ نفسي [4] منها والأهل والعيال وسبـايـبي [5] الـطـمـع
قلت له يابـا عشن اكْـسَبْ جَمَالَـه استـلم مني الـفلوس وابعث حَوالَـهْ
نستلمها من عَدَنْ
شَلُّها [6] الـرسول وقَضَّى لي المطالب صَادَقَ المـقـدور وأمـر الله غالـب
والـذي أصـله حرام لا شك ذاهـب بات مُـفْـلِـسْ بـو خليـل
يوم كانـت في يدي مبسـوط فارح [7] ما أرى النـاس كلها ميْجي [8] ورايح
حتى بَلَّدْ [9] ما معي وسْطَ البَوايحْ [10] انْـكَـشَـفْ حالي وبَـانْ [11]
قل لعيسى عادتـك أنت الـدِّلاَلَـهْ [12] والـتـجـاره لأهـلهـا خَلِّ الجهـالـه
أنت ما تصلح بها
هيهـات آيِّسْ [13] أن يعـود المـال ثانيه قد كان قصدك تَعْتلي فوق الصَّبَانِيّهْ [14]

---

(١) يا قومي.
(٢) ما عندي.. أو ليس لي.
(٣) بالكذب.
(٤) من الحرمان.
(٥) بسبب.
(٦) أخذها.
(٧) من الفرح.
(٨) ميجي ورايح، يقصد الجاي والرائح.
(٩) غَرِقَ.
(١٠) أعماق البحر.
(١١) ظهر حاله.
(١٢) دلاّلاً بين البائع والمشتري.
(١٣) من اليأس، ويتضح أن الشاعر بدأ دلعه بالتحدث بلسان عيسى صاحب الفلوس حتى وصل إلى قوله انكشف حالي وبـان، ثم عاد فَوَجَّـه الشـاعـر نفسـه الكـلام إلى عيسى على لسان رسولـه «قل لعيسى عادتك أنت الدلالة».. إلى آخر الدلع.
(١٤) أهل صبيا.

هــــذا مــــن الــمـحـــــال تبغى تجارة ياسروق خارب أســاسهـا

وهذا هو الدِّلْع الثاني: من دلوع الفكاهة وموضوعه، كأن للشاعر الشعبي محسن مشاري حمار اسمه (عجلان) وكأن يكريه - أي يُؤَجِّره - بريال واحد من صبيا إلى جيزان ذهابًا وإيابًا، وفي إحدى المرات استكراه رجل اسمه (الشنيتي)، ولكن الحمار مات في الطريق ولم يعد إلى صاحبه في صبيا فنظَّم الشاعر هذا الدِّلع الفكاهي فقال:

يالابتي [1] شَشْكِي [2] على من كان لي صديق مِنْ غُشْ من هو يلتقي في ساعة المضيق [3]
راعي الجواده [4] لا تقدم [5] في أول المسيق [6] لـــه شِيـــعَ [7] زَايـــد
غُشْ قلبــي يوم رأيت عجــلان حاير ضاع فكــري واعتمت كل البصــاير
أَلْتهمْ سَفْـري [8] عليه لابتْ [9] غاير يَطْــوى الشَّـــدّه [10] ســريــع
أَمْسَيَتْ مَحْروق الفؤاد حين أنظرالمكان خالي كذا الـدنيا تِفَـرَّقْ آخـر الـزمـان

تَعْري [11] على الضعيف

ماحَكَـمْ به خالـقـي فأحْـنـا رضينـا كم وكم في الناس شَاتَشْمُته [12] علينا
يوم يَسَـوَّقْ والـزنـابـيل في إدينـا وَغْـدَنـا يـوم الـشـلـوث [13]

---

(١) يا قومي.

(٢) ساشتكي.

(٣) ساعة الضيق.

(٤) السرعة.

(٥) إذا تقدم.

(٦) «المسيق» أول القافلة.

(٧) له شهرة.

(٨) التهم اذكر.

(٩) «لابت» إذا سافرت في الليل لا أنام.

(١٠) الشَّدَّة هي المرحلة.

(١١) تكشف.

(١٢) سوف تشمت وتسخر منا.

(١٣) يوم الثلاثاء «سوق صبيا الأسبوعي».

من سألـني قال لي ما هو جرى له	قلت له هذا الكـرى عُقْبَـة فِعَـالُـه
لو درينـا أنَّ آخـرهـا زوالـه	مـا طمـعـنـا فـي الـريـال
آخـر الـكـروه إلى جيزان شدَّه[1]	والـشـنـيتي من عليه هَدَّه[2] بهَدَّه[3]
لا سـقـى الـلـه كـروتـه	مات عَيْري وانـقـطعنـا من ريالـه

- الدلع الخامس: وهو من دلوع الحرب، وقبل أن أقدم إليك الدلع أحب أن أشرح موضوع الدّلْع وهو أن رجلاً من أهل مدينة أبو عريش اسمه أحمد عقيلي كان في طريقه إلى صبيا لحضور سوقها العام في يوم الثلاثاء ليبيع بضاعته التي بعثها قبله على ظهور الجمال، وذلك في عهد الحسن بن علي الإدريسي، وقبل أن يصل إلى صبيا وفي ساحتها الجنوبية خرج عليه قاطع طريق عرف فيما بعد أنه من أهل (الحَقْو) فقتله دونما سبب، اللهم إلا الطمع فيما معه من نقود، وفرّ القاتل، وقد حاول الحسن الإدريسي الاتصال بمشايخ الحَقْو لتسليم القاتل، ولكن دون جدوى. وثار أهل أبو عريش لمقتل ولدهم، واتهموا أهل صبياء بالقصور، وعدم بذل الجهد في الوصول إلى القاتل. وطلبوا من الحسن الإدريسي إرسال جيش إلى (الحَقْو) لمحاربة أهلها أو يذعنوا فيسلموا القاتل للقصاص منه، وفعلاً جهز الحسن الإدريسي جيشه إلى (الحَقْو) واشترك أهل أبو عريش في هذا الجيش، ولكن الجيش الإدريسي لم يصل إلى (الحقو) فقد خرج مشايخ (الحقو) لمقابلة الجيش، واستعدوا بإحضار القاتل، وطلبوا مهلة للبحث عنه، والقبض عليه. وعاد الجيش الإردريسي إلى صبيا، وانتهت القضية بعدم تسليم القاتل وطواها النسيان.

وقد قال شاعر أبو عريش (عيسى العبد) هذا الدَّلع عندما تجمع أهل أبو عريش للخروج إلى صبيا للاشتراك مع جيش الحسن الإدريسي المتجه إلى (الحَقْو) وهذا هو الدَّلْع:

---

(١) مرحلة.

(٢)، (٣) هدّه بهدّه تعني: ينزل من على ظهر الحمار مرة تلو الأخرى لعجز الحمار عن المشي.

يالابتي[1] فأنـا لقـوم الشـام[2] راجي[3] لأهـل صبيا والقِـديم محسن خواجي[4]
لَهْيَ[5] من يوم يظل الـغَـمْـرُ[6] داجـي[7] من وِسَـاغْ[8] رَعْـده[9] وشـام[10]
إن تجمَّعتم وهبتم شور[11] واضـح أبشروا مني بِطِلاّع[12] المـدايح
ليل وأطراف النهار
وإن تقافيتم[13] فسِلْتُم[14] ما فعلتم قد عرفنـا أن هذا الشـور منكـم
وجميع النـاس ماعاد يَرْكُنـنكُم[15] سُوقُكُـم يَغْـدِي هَدَارْ[16]
يا مُعَقِيلي[17] لك علينـا عهـد لازم بعـد عَيْنَـك لَهْيَ مَنْكَثْرَه[18] مرازم[19]
ويقَّيِّل[20] يوم فيه الـطير حايم في السـما كاسِر جنـاح

(١) يا قومي.
(٢) يعني صبيا لأنها تقع شمال غرب أبو عريش، وأهل المنطقة يطلقون على الجهة التي تقع إلى الشمال منهم «شام».
(٣) منتظر.
(٤) محسن خواجي أحد مشايخ صبيا.
(٥) لا بد.
(٦) الغمر: هو الدخان الذي ينطلق من فوهات البنادق عندما تطلق الرصاص.
(٧) مظلم.
(٨) أحد أودية مخلاف صبيا الشمالي.
(٩) أصوات طلقات البنادق.
(١٠) شام يعني شمال.
(١١) بانتشارها.
(١٢) رأي.
(١٣) أدرتم ظهوركم.
(١٤) الفِسَالَةْ
(١٥) يثق بكم.
(١٦) غير مضمون.
(١٧) العقيلي هو المقتول.
(١٨) من الإكثار.
(١٩) مَرَازِم: علامات توضع على قبر القتيل.
(٢٠) وقت القيلولة.

بلغ الحقوي[1] وقل يحفظ الحساب بقدرة الله لو تعالى عالي السحاب
لا بد ندهمهم ونأخذ غالي النَّسَبْ يِنْقِي خيارهم
ومن حفرها[2] لهي ما يغدي[3] اغلاقها

٥ ـ **الزِّيْفَةْ**: وتؤدى هذه الرقصة في مكان فسيح خارج المدينة أو القرية، ووقتها بعد صلاة العشاء إلى ما قبل الفجر، وتتكون من صفين متقابلين يتوسطهما أصحاب الطبول، ويقوم الشاعر الشعبي بالانتقال بين الصفين ليملي على اللاعبين شعره لينشدوه بصوت مرتفع، كل صف على حدة. وقد سبق أن أوردت أنموذجًا لشعر الزِّيفه للشاعر الشعبي عبدالله السلامي في الفقرة الخاصة بالختان، وهذا أنموذج آخر للشاعر الشعبي علي طير:

خميس[4] سيلمْهْ يِقْتيوي وأبْحَرْ بِنَا[5] شَلْ العُقُوم[6] الطالعة وما بقى في الموج[7] بات
شَلْ المَطْلَعْ[8] والقَشَلْ[9] جَنَّبْ[10] بها من راس عبسى[11]

---

(١) الحَقْوي: هو قاتل العقيلي.
(٢) يعني من أيقظ هذه الفتنة.
(٣) من الغداة.. والشاعر يعني أن من حفر هذه الحفرة فسيقع فيها غدًا.
(٤) اسم رجل في صبيا.
(٥) أوصلنا البحر.
(٦) السدود الترابية.
(٧) موج االبحر.
(٨) المطلع: مدخل مدينة جازان الشرقي.
(٩) القِشَل: القلاع.
(١٠) تعدى بها.
(١١) جزيرة من جزر البحر الأحمر.

أ

الـــــردّ:

الـــزين ياجي بالـطمـع وبحـربنـا[1] أنـا قِدِيني[2]، واقفٍ لشرطهم والموجبات،[3]
على كتــاب المـصــطفى ومــا بقى من راس عيسى[4].

وهذا نوع آخر من نشيد الطارق، وموضوع هذا النشيد هو أن رجلاً تخاصم مع زوجته فخرجت إلى بيت أهلها عاتبة عليه، وبعد خروجها بلغها أن زوجها خطب امرأة أخرى ليتزوجها، وكان الزوج على علم بأن امرأته قد بلغها الخبر، فأراد أن يعرف مقدار حب زوجته له، فبعث إليها مع خادمتها ببيتين من الشعر الشعبي الخاص بالطارق وانتظر الرد فهو يعرف أن زوجته تحسن نظم الشعر الشعبي فقال في شعره:

يا هاجـري[5]، في ردحتـه[6] مال واحنـا[7] وارى علوتّــه مَيَّلَتْ به على قْصَــبْ[8]

فردّت عليه زوجته قائلة له:

أراك تخطب[9] غيرنــا مَالْ[10] واحــنـــا[11] النـــاس تبكي دمــع وأنــا عَلَقْ[12] صَبْ[13]

٦ ـ الـطـــارق: هو نشيد يرفع به الرجل صوته بمصاحبة المزمار أو بدون مزمار. ولكن ليس كل صوت يمكن أن يصلح لإنشاد الطارق، والطارق كالغناء، يحتاج إلى

(١) بالحرب.
(٢) إشارة إلى نفسه بأنه جاهز للشروط.
(٣) الطلبات.
(٤) عيسى: أخو خميس، ويقول الشاعر: إنني إذا عجزت عن إكمال الشروط فإن عيسى سيكمل ذلك.
(٥) الهاجري: نوع جيد من الذرة، وهو أبيض اللون.
(٦) الردّحة: القطعة من الأرض الزراعية.
(٧) مال واحنا: مال وانحنى لطول القصب.
(٨) وارى علوتّه: ملّت به على قصب لكثرة ما تحمل من العذوق من الحبوب فلم تستطع احتمال العذوق فمالت بها.
(٩) أراك: تأتي هنا، بمعنى علمت أو بلغني أنك تخطب غيري.
(١٠، ١١) مال واحنا: تقول له ما السبب وأنا هنا، وهل قصرّت فيك.
(١٢، ١٣) تقول إن الناس تبكي الدموع إذا بكت، وأنا أبكي دمًا وأصبه علَقًا من تصرفك هذا.

الصوت الحلو، الذي يُشنِف آذان السامع فيطرب له، أما إذا كان الصوت عكس ذلك فإنه سيكون مصدر إزعاج للمستمع سواء كان هذا الصوت صوت فنان على آلة موسيقية أو صوت منشد بالطارق.

والطارق ليس له مناسبة محددة أو مكان مخصص، فهو عبارة عن ترويح للنفس، ويستطيع الإنسان أن ينشده في بيته بصوت منخفض حتى لا يزعج جاره أو ينشده مع مجموعة من أصحابه وبمصاحبة مزمار، ولكن خارج المدينة أو القرية، وشعر الطارق فيه نوع من الجناس، ومن ذلك قول الشاعر الشعبي على بن مفدي:

جاني الـكِــبَرْ والصَّيْد عني تَشَــاوَرْ (1) قد كنت ماتَرْمُشْ (2) عيوني ولا أخطي (3)
وكنت صَيدْ بالعشِيَّة (4). وبـالطَّلْ (5) الصيد ما مثله كِبَاشَه (6) ومَعْزَى (7)

الردّ للشاعر نفسه:

إن كنــت ما تعــرف طِبَــاعِـي تشــاور (8) ما رُوحْ (9) في درب الدَّنَايَا(10) ولا أخطي (11)
وإن كان غير قال كذبــه وَبَــطَّل (12) أنـا صُدُوق شرْجي (13) جوابـك وَمَعْزَى(14)

(1) من المشوار أي: هرب.
(2) ترمش: تتحرك رموش عينيه أو أجفانه.
(3) لا يخطيء الهدف.
(4) في المساء.
(5) في الصباح.
(6) الخرفان من الضأن.
(7) الماعز.
(8) من المشورة: أي اسأل عن سلوكي وأخباري.
(9) ما أمشي.
(10) الأشياء الحقيرة.
(11) ولا أنقل خطواتي.
(12) بطَّل: أخلف جوابك.
(13) سوف أنتظر جوابك.
(14) ما اقتنع أو ما أقطع الأمل في موافقتك.

وهذا نوع آخر من شعر الطارق للشاعر الشعبي عبدالله السلامي :

لِي صاحب من مَجْهَلُه [1] حَالِيَ اعْـظَامْ [2] الـلحـم كالمَضْرُوبْ [3] وامْــدَمْ [4] حَـالِـيَ

الرد للشاعر نفسه :

لا عاد تشكون حالكم حالي أعْظَمْ [5] من بو عيونٍ [6] سود ومْــدَ مْحَالِي [7]

ويقول السلامي :

يا صَيْد لا تَقْعُـد سَنَـة في التّهَايِمْ [8] واطلع جبالِ حزْ.[9] ما ناس [10] فيها

الرد لعبدالله السلامي :

يا صاحبي مَانَـا مَعَاكْ في التّهايِمْ [11] مَرٌ زمـان الجهـل مَانَـا سَفِيهَـا [12]

مع العلم أن السيّف والعَـرْضَـة، والعَـزَاوِي والزّيْفَة هذه الأربعة الأنواع من الفولكلور الشعبي، من الممكن أن تُمارس في أية مناسبة تعبرعن أفراح المواطنين، ومنها مناسبات الأعياد، ولا تمارس في مناسبة الختان فقط، أما الدلوع (جمع دلع) الخمسة

---

(1) من مجهله : من صغره.
(2) حالي اعظام : كناية عن تناسق الأعضاء وجمال خلقته.
(3) المضروب : نوع من الحلوى يصنع في صبيا.
(4) دمه حلو، ويعني أن صاحبه خفيف الظل.
(5) يقول لصاحبه لا تشتكي إليّ مما تعانيه، فما أعانيه أعظم مما تعانيه وأسبابه هو.
(6) أبو العيون السود.
(7) مدحّة : الدمح شيء يشبه الكحل يصنع في صبيا.
(8) التهايم : يقصد بها أرض تهامة.
(9) الحز : الأرض التي تقع بين الجبال وتهامة.
(10) ما ناس فيها : أي خالية من السكان.
(11) التهايم هنا : من الاتهام أي توجيه التهمة إليه.
(12) مانا سفيها : أي أصبحت عاقلاً بعد أن تجاوزت مرحلة السفاهة والجهل والمراهقة.

التي أشرت إليها فإن واحدًا منها فقط هو الذي يُمارس في المناسبات لعلاقته بالعَرْضَة، فالمواطنون في صبيا لا يخرجون إلى العرضة في الميدان المخصص لها إلا على قرع طبول الدِّلع، وهو الذي لا أناشيد له، وقد سبق ذكره في الفقرة الخاصة بالختان، أما دلع التَّكْثيرة فلا علاقة له بأية مناسبة غير مناسبة الختان، ووليمة الختان، وهذه المناسبة قد اختفت بعد أن أبدلنا الله خيرًا منها، وهو الختان في المستشفيات والمستوصفات الحكومية، أما دلع الحرب فليس بأوفر حظًا من دلع التكثيرة، فقد كان أول من اختفى من الدلوع، ومع بداية العهد السعودي في صبيا، وبعد أن أصبحت منطقة جيزان بأسرها جزءًا من المملكة العربية السعودية، بعد أن وحدها صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - طيب الله ثراه وتغمده برحمته الواسعة -، وذلك في عام ١٣٥١هـ، فقد تكفّلت الحكومة السعودية بإقامة حدود الله، وقطعت دابر المفسدين، وقطاع الطرق، وكانت بالمرصاد لكل مجرم، فلم يستطع أحد من المجرمين أن يفلت من يد العدالة، فساد الأمن والاستقرار في ربوع المنطقة وفي سائر أنحاء المملكة وانحسرت الفوضى والاضطرابات إلى غير رجعة والحمد لله.

● ● ●

المصادر والمراجع

(١) إدارة تعليم صبيا: معلومات عن التعليم.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان.

(٣) تاريخ المخلاف السليماني: محمد أحمد عيسى العقيلي.

(٤) الجواهر اللطاف (مخطوط): للسيد محمد حيدر القُبّي النّعْمي.

(٥) صفة جزيرة العرب: أبومحمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.

(٦) القاسم بن هتيمل، تحقيق: محمد بن أحمد عيسى العقيلي.

(٧) لقاءات مع كبار السن من أهل المنطقة.

(٨) معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي.

(٩) معجم ما استعجم: أبو عبدالله بن أبي مصعب بن عبدالعزيز البكري الأندلسي.

(١٠) نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود: تأليف عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلي، تحقيق، وتحليل: محمد بن أحمد عيسى العقيلي.

المحتويات

صفحة

الكتب التي صدرت من سلسلة « هذه بلادنا »

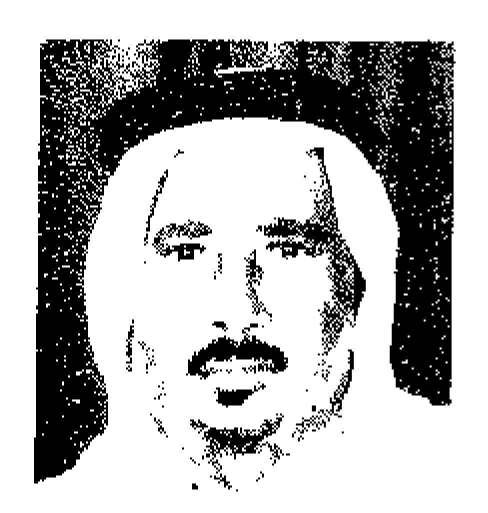
اسم الكتاب	رقمه	اسم المؤلف	الطبعة
حائل	١	فهد العلي العريفي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
بريدة	٢	د. حسن بن فهد الهويمل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الجواء	٣	د. صالح بن سليمان النصار الوشمي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
فرسان	٤	إبراهيم عبدالله مفتاح	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
بلاد زهران	٥	د. محمد بن مسفر بن حسين الزهراني	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
عودة سدير	٦	د. عبدالعزيز بن محمد الفيصل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
المدينة المنورة	٧	محمد صالح البليهشي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
المذنب	٨	عبدالرحمن بن عبدالله الغنايم	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الجبيل	٩	عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الحريق	١٠	محمد بن سعد الدبل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الرس	١١	عبدالله بن محمد الرشيد	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الخبر	١٢	عبدالله أحمد الشباط	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الزلفي	١٣	عبدالرزاق بن أحمد اليوسف	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الباحة	١٤	د. صالح عون هاشم عدنان الغامدي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
البكيرية	١٥	علي بن سليمان المقوشي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
البدائع	١٦	عبدالله بن محمد العبيد	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
شقراء	١٧	محمد بن إبراهيم بن عبدالله العمار	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
الجوف	١٨	د. عارف بن مفضي المسعر	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
مكة المكرمة	١٩	إبراهيم أحمد حسين كيفي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
تبوك	٢٠	د. محمد بن علي الهرفي	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
جلاجل	٢١	د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
أبو عريش	٢٢	محمد حاسر إبراهيم عريشي	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
عنيزة	٢٣	د. محمد بن عبدالله السلمان	طبعة أولى ١٤١٠هـ
القطيف	٢٤	محمد سعيد المسلم	طبعة أولى ١٤١٠هـ
الشماسية	٢٥	د. عبدالله بن ناصر الوليعي	طبعة أولى ١٤١٠هـ
العيص	٢٦	معتاد بن عبيد السناني	طبعة أولى ١٤١٠هـ
الأفلاج	٢٧	د/ إبراهيم بن صالح بن راشد المجادعة الدوسري	طبعة أولى ١٤١١هـ
رأس تنورة	٢٨	صالح محسن فهد القعود	طبعة أولى ١٤١١هـ
حوطة سدير	٢٩	عبدالله بن عبدالكريم المعجل	طبعة أولى ١٤١١هـ
تيماء	٣٠	محمد حمد السمير التيمائي	طبعة أولى ١٤١١هـ
روضة سدير	٣١	عبدالله بن محمد بن عبدالله أبابطين	طبعة أولى ١٤١٢هـ

تابع ـ الكتب التي صدرت من سلسلة « هذه بلادنا »

اسم الكتاب	رقمه	اسم المؤلف	الطبعة
بلاد ثقيف	٣٢	د. يوسف علي بن رابع الثقفي	طبعة أولى ١٤١٣هـ
القصب	٣٣	ناصر عبدالله عبدالعزيز الحميضي	طبعة أولى ١٤١٢هـ
نجران	٣٤	صالح بن محمد بن جابر آل مريح	طبعة أولى ١٤١٢هـ
الدوادمي	٣٥	سعد بن محمد بن سعد الطخيس	طبعة أولى ١٤١٢هـ

متابعة وإشـراف : محمد القشعمي

المؤلف في سطور



محمد محسن محمد مشاري

- من مواليد صبيا في عام ١٣٤٨هـ
- تلقى مبادىء القراءة والكِتَابة في (الكتّاب)، وتسمى في صبيا بـ (المعلامة).
- التحق بأول مدرسة ابتدائية افتتحت في صبيا في عام ١٣٥٧هـ، وهي ما تسمى حاليًا (مدرسة ابن خلدون) لأنها امتداد لتلك المدرسة.
- نظرًا لظروفه لم يواصل دراسته والتحق بالوظيفة الحكومية في غرة المحرم من عام ١٣٦٤هـ حيث عمل موظفًا تابعًا لمالية جيزان إلى نهاية شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٠٠هـ، إذ طلب الإحالة على التقاعد.
- في أثناء عمله الوظيفي درس وحصل على الشهادة الابتدائية من المنازل، وواصل الدراسة إلى المتوسط، ثم حالت ظروفه العملية دون مواصلة الدراسة.
- ينظم الشعر. وله مجموعة قصائد لم تطبع بعد.